الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم اللغة والأدب العربي

التخصص:أدب عربي حديث ومعاصر

صورة الهجرة وانعكاساتها في رواية "كعبة الشمال والزمن الخائب" لـ محمد ساري

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:

-جميلة جواهرة.

-مريم بلحوة.

إشراف الأستاذ:

-محمد بوتالي

لجنة المناقشة:

1. **د/ منير سعيدي جامعة البويرة رئيسا**
2. **أ/ محمد بوتاليجامعة البويرة مشرفا ومقررا**
3. **د/ جمال قالمجامعة البويرة عضوا مناقشا**

السنة الجامعية: 2024-2025

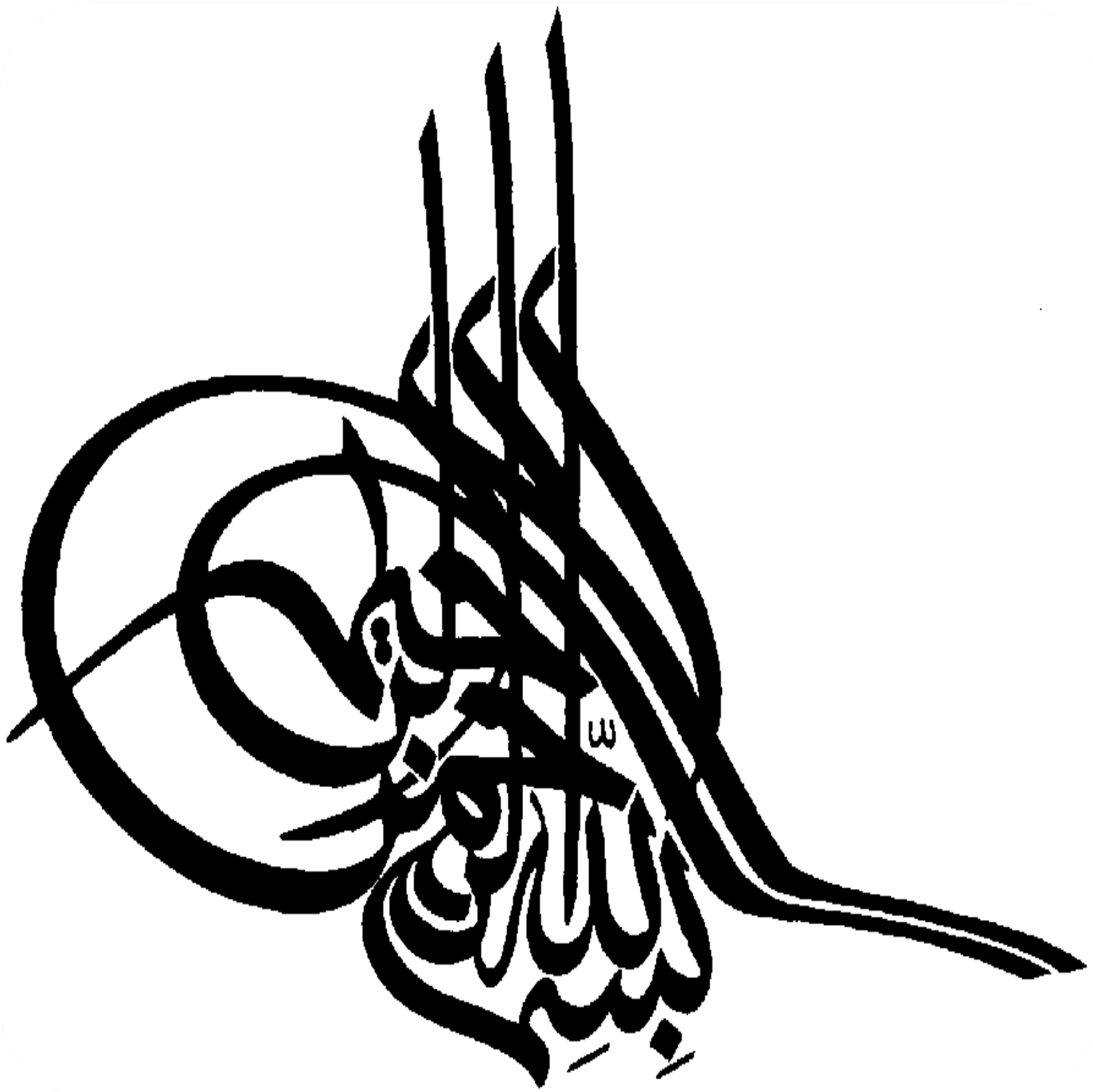

إهـــــداء

بداية أحمد الله وأشكره أن وفقني لإتمام هذا العمل، وبعد الحمد والثناء، أهدي عملي هذا إلى:

ذلك الرجل العظيم الذي ساندني بكل حب في ضعفي الذي أخرج أجمل ما في داخلي، إلى من انتظر هذه اللحظات ليفتخر بي والدي العزيز ادامك الله ظلاً لنا.

إلى التي تعجز الكلمات عن وصفها والتي كانت النور في عتمتي وكان دعاؤها سر نجاحي إلى المضحيّة من أجلي والتي رافقتني في كل أوقاتي، التي تتعب بدون مقابل أمي الحبيبة متعها الله بالصحة والعافية.

إلى إخوتي عادل ومحمد، وأخواتي كريمة نسرين أمال حفيظة حنان.

إلى كل الأصدقاء الأعزاء.

إلى كل الذين يحبهم قلبي ولم يذكرهم لساني

أهدي ثمرة جهدي.

جميلة.

rawpixel

إهـــداء

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، فله الحمد على ما أنعم وأعان وما وفق.

إلى من كانوا النور الذي أنار طريقي، والسند الذي أعانني في كل خطوة أهدي ثمرة جهدي وتعبي إلى التي بوجودهما تطيب لي الحياة إلى الوالدين الكريمين.

كما أهدي عملي هذا إلى قرّة عيني إخوتي علي، محمد، إسحاق وإلى أختي صبرينة التي كانت دوما نبع الحنان ورفيقة الدرب والتي كانت أمًّا وصديقة في آنٍ واحد.

كما لا أنسى جدّتي أطال الله في عمرها.

وإلى جميلة التي شاركتني لحظات التعب والفرح وكانت دائما العون والسند.

وإلى الأصدقاء الأعزاء.

مريم.

rawpixel

شكر وتقدير

الحمّد الله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه أمّا بعد:

في بادئ الأمر فإنّي أحمد الله وأشكره على توفيقنا في إتمام هذه المذكرة.

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لأستاذنا الفاضل بوتالي محمد لما قدّمه لنا من دعم وتوجيه وإرشاد لإتمام هذا العمل المتواضع فله أسمى عبارات الثناء والتقدير.

كما نتوّجه بالشكر الكبير إلى اللجنة المناقشة لقبولهم مناقشة هذه المذكرة .

مقدمـــــة

مقدمة:

تعدّ صورة الهجرة في الرّواية العربيّة المعاصرة مرآة تعكس التحديّات والآمال الإنسانيّة، وتُسهم في فهم أعمق للظروف الاجتماعيّة والثقافيّة التي يعيشها الأفراد في عالم متغيّر، وتلعب الهجرة دورًا مركزيا في تلاقي مجموعات بشرية متعددّة الثقافات، لتصبح هذه الظاهرة موضوعًا يَشغل الكثير من الأدباء من خلال كتابتهم الشعريّة، فموضوع الهجرة لا يعبّر عن أسباب ودوافع الهجرة فقط، بل تعدى ذلك لينّتقل إلى تصوير المجتمع الممزّق من جميع النواحي من خلال الواقع المَرير والأليم الذي تعيشه المجتمعات العربيّة.

تناولت الرّواية العربيّة المعاصرة على موضوع الهجرة وأضحت من أكثر المسائل المثيرة للجدل، كما فتحت آفاقًا للدراسات حول ما تخلّفَه هذه الظاهرة في بلد الغربة، باعتبارها خاصّية إنسانيّة تظهر رغبة الفرد في البحث عن حياة أفضل وتحقيق الطموح حتى في ظلّ التحديّات والصعوبات، وفي هذا الصدّد فموضوع الهجرة ضاربة جذوره حتى في التراث العربي القديم كحكاية ألف ليلة وليلة، ومقامات بديع الزمان الهمذاني، بالإضافة إلى الملاحم والقصص والرحلات.

حيث عبرّ الكثير من الروائيّين عن أوضاع المهاجر العربي في مركز الصراع ومواجهة الهوية والتقاليد بين الشرق والغرب ومن بين الرّوايات التي تناولت موضوع الهجرة على سبيل المثال نجد "رواية خرافة الرّجل القوي" للروائي "بومدين بلكبير"، و"أرض الله" لرشيد بوجدرة التي تستعرض معاناة الشخصيّات في الخوض في تجربة الهجرة والاغتراب.

والرّواية التي بين أيدينا "كعبة الشمال والزمن الخائب" لمحمد ساري محل دراستنا الموسومة ب: صورة الهجرة وانعكاساتها في الرواية.

واهتمامنا بهذا الموضوع يعود في الأساس وبداية الأمر إلى الأستاذ المشرف الذي اقترح علينّا بقراءة الرّواية "كعبة الشمال والزمن الخائب" دفعنا للخوض إلى معالم موضوع الهجرة ولفت انتباهنا للعنوان كعتبة وطريق يمهّد للقراءة كون الموضوع نابع من رحم المجتمع بصفة خاصة وقضية إنسانية بصفة عامة، ومن خلال ما قرأنا اتضّح لنا أنّ الرّواية تعالج الهجرة والاغتراب وصراع الهويّة والاندماج. بالإضافة إلى ميولاتنا الذاتيّة إلى الرّواية على وجه التحديد.

علاوة على ذلك قلّة الدراسات في هذا الموضوع ما ساعدنا إلى الانغماس في غمار التحدّي في معالجة هذا المحتوى ومعرفة الأثر الاجتّماعي والمادي الذي تركته هذه الظاهرة في حياة المهاجر. وكذا إقدام الروائي كخطوة أولى في التحدّث في مثل هذا الموضوع وفضح وتعرّي وانسلاخ الواقع الجزائري المزري في فترة الاستعمار.

وبناء على ذلك فقد طرحنا جملة من الإشكاليات هي كالآتي:

-كيف تعكس رواية كعبة الشمال والزمن الخائب تجربة الهجرة؟ وتأثيراتها على الشخصيات وتأقلمها في المجتمع الجديد؟

-ماهي الانعكاسات النفسية والاجتماعية التي تنتج عن هذه الهجرة؟

-ماهي الجذور التاريخية لظاهرة الهجرة؟ وكيف تجلّت صورة الهجرة في الرّواية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالات قمنا بخطة بحث مكوّنة من: مقدمة يليها الفصل الأول المعنوّن بالتأصيل التاريخي لظاهرة الهجرة، تناولنا فيه الجذور التاريخية للهجرة، والعوامل والأسباب المؤدية لظاهرة الهجرة بالإضافة إلى الهجرة العربية المعاصرة في الرّواية و تحديد مفاهيم متعلقة بالهجرة، أمّا الفصل الثاني المعنوّن ب: تمظهرات صورة الهجرة في الرّواية الذي

قمنا بدراسة فيه الشخصيات المهاجرة في الرّواية، ونسق الهجرة الزماني بالإضافة إلى الصراع بين الهوّية والاندماج الذي يؤكد فيها على دور الحياة الإنسانية في تشكيل الهوية، ثم انتقلنا إلى دراسة صورة المرأة في شخصية فيفي كامرأة مضطهدة و مستضعفة وكأمٍ، بالإضافة إلى سيميائية العنوان والغلاف، لننهي موضوعنا بخاتمة، وقفنا فيها على أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال صورة الهجرة وأثرها في الرواية. ثم ملاحق عن الكاتب وملخص حول الرّواية وقائمة المصادر والمراجع وأخيرا فهرس الموضوعات.

ولتحقيق الشكل الأكاديمي في مذكرتنا اعتمدنا على منهجين هما الوصفي التحليلي والسيميّائي كونهما الأنسب لدراستنا.

اعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي شكلّت زاد هذا البحث ومرتكزه العلمي، أهمّها الرّواية التي هي محل دراستنا وعلى مراجع منها: د. حليم بركات الاغتراب في الثقافة العربية، بخوش صبيحة الهجرة غير الشرعية وتداعياتها على منطقة شمال إفريقيا (الجزائر أنموذجا). بول كولبير الهجرة كيف تؤثر في عالمنا. أحمد عبد العزيز الأصفر اللّحام الأضرار النفسية والاجتماعية للهجرة غير المشروعة.

وفي الأخير لا أنسى فضل أستاذنا المشرف "بوتالي محمد" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه لإكمال هذا البحث منذ أن كان فكرة إلى أن أصبح واقعا نعيشه.

وختاما أسأل الله عز وجل أن نكون قد وفقّنا في بحثنا.

الفصل الأوّل: التأصيل التّاريخي للهجرة.

1- الجذور التّاريخية للهجرة.

2- العوامل المؤديّة لظاهرة الهجرة.

3- الهجرة في الرّواية العربيّة المعاصرة.

4- تحديد مفاهيم متعلقة بموضوع الهجرة.

1-الجذور التاريخية للهجرة:

منذ الأزل ومنذّ أن خلقت البشرية كان أدب الرحلات قفاءً واسعا متداولا بينهم، فالهجرة ظاهرة إنسانية متجذرة في تاريخ البشرية، حيث ارتبطت بتطور المجتمعات وسعي الإنسان الدائم لتحسين ظروف حياته، فمنذ العصور الأولى، لم يكن الإنسان مستقراً في موقع واحد، بل تنّقل بحثا عن الطعام والماء والمأوى، ممّا أدّى أولى الهجرات البشرية التي ساهمت في انتشار الإنسان عبر القارات ومع تطوّر الحضارات، أصبحت الهجرة تتخذّ أشكالاً أكثر تعقيدًا، فتفاوتت أسبابها بين الهجرات القسريّة، التي فرضتها الحروب والكوارث والهجرات الطوعية بحثا عن فرص اقتصادية أو اجتماعية أفضل، و خلال العصور القديمة لعبت الهجرات دوراً رئيسيا في تشكيل الحضارات الكبرى، مثل الفتوحات الإسلامية وهجرات الشعوب البربرية، والتوّسعات الرومانية، فالفتوحات الإسلامية لم تكن مجرد حروب توسعية بل شكّلت تحولات تاريخية كبيرة، حيث ساهمت في نشر الإسلام في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلّم ونقل العلوم والثقافة ودمج الحضارات المختلفة تحت حكم إسلامي موّحد خلال المعارك ومن بينهم غزوة بدر، أحد، الخندق، وفتح مكة عام 630م، وعلى الرغم من التّحديات التي واجهتها، تركت هذه الفتوحات بصمة دائمة على العالم، لا تزال أثارها قائمة حتى اليوم في العديد من الدول والمجتمعات.

ولعل أقدم الهجرات البشرية تكون قد خرجت من جنوب غرب آسيا ووسطها إلى غرب أوروبا ونحو الأمريكيتين ونحو إفريقيا في الجنوب أيضا، وقد كانت هذه الهجرات مدفوعة بالتغيّرات البيئية مثل فترات الجفاف الطويلة، إضافة إلى البحث عن مناطق غنية بالمياه والطعام ومع تطوّر المجتمعات لم تعدّ الهجرة تقتصر على البحث عن الموارد، بل أصبحت مدفوعة لعوامل اجتماعية، واقتصادية وسياسية. مثل نشوء الحضارات الزراعية في واد النيل، التي جذبت المهاجرين بسبب

استقرارها ووفرة إنتاجها الغذائي، كما لعبت الحروب والصراعات دورا في دفع القبائل والشعوب نحو الهجرة بحثا عن الأمان أوالأراضي الخصبة، وهذا ما شهدته مناطق مثل أوروبا وآسيا خلال الهجرات المغولية والجرمانية، عند سقوط الامبراطورية الرومانية، بدأت القبائل الجرمانية مثل الفاندال والفَرْنَجَة في الهجرة من الشمال إلى شرق أوروبا تتسلل نحو حدود الإمبراطورية الرومانية.

وفي العصور الوسطى يمكن أن ندرج هجرات بعض القبائل العربية الشهيرة التي اتجهت نحو إفريقيا، والتي سجلها بعض الملاحم والسيّر الشعبية والأمثلة كثيرة، ولكننا نكتفي بهذا القدر لتوضيح ما يراد بالهجرة البدائية التي تضم أعدادا كبيرة من البشر الذين يضطرون لتغيير موطنهم الأصلي: "نتيجة عجزهم عن التصدّي بنجاح لبعض العوامل والقوى القاهرة، سواء كانت طبيعية أو بشرية"[1]. ومعنى هذا أن الهجرة البدائية تعتبر مرحلة أساسية في تاريخ البشرية، حيث انتقل الإنسان من مكان لآخر بحثا عن موارد جديدة أو هروبا من ظروف قاسية، فيمكن أن يشير ويرمز مصطلحّ "الهجرة البدائية" إلى هجرات جماعية مثل: هجرات القبائل البشرية الأولى من افريقيا إلى مناطق أخرى في العالم مثال عن ذلك: منذ حوالي 1000ق م قامت شعوب البانتو الناطقة باللّغات النيجرية بهجرات واسعة من غرب إفريقيا نحو الجنوب والشرق حين انتقلوا من مناطقهم الأصلية من نيجريا والكاميرون إلى المناطق مثل جمهورية إفريقيا حيث ساهمت هذه الهجرات في تشكيل مجتمعات جديدة وتبادل الثقافات والموارد الطبيعية وهذه الفترة مليئة بالهجرات والتطوّرات الحاصلة في تشّكل حاضر للقارة.

"أمّا النصف الثاني من القرن الماضي بعد الحربين العالميتين الأولى {1914.1918} والثانية {1939. 1945} اللتين أفرزتا وضعا جديدا ووجدت من خلاله كل من فرنسا وانجلترا

[1]. يُنظر: أحمد أبو زيد، الهجرة وأسطورة العودة، مقال طبع في مجلة عالم الفكر الذي يعالج مسألة الهجرة والهجرة العاكسة، المجلّد السابع عشر، العدد الثاني، يونيو، أغسطس، سبتمبر، 1986، الكويت، ص، ص: 4-5.

وألمانيا وإيطاليا نفسها وقد خرجت للتو من الحرب فاقدة لقوتها البشرية ولت تعدّ تتوفر على السواعد اللازمة لبناء الغد وفي حاجة ماسة إلى مزيد من العمّالة الأجنبية لتحقيق النمو المتّوقع، ومن ثم شرعت في جلب اليدّ العاملة كل من المغرب والجزائر وتونس ودّول جنوب الصحراء، والواضح أنّ كل عمليات الهجرة الجماعية التي تمّت من الجنوب نحو الشمال خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي"[1].

وفي هذا الصدد شكّلت الهجرة في النصف الثاني من القرن الماضي عنصرًا ومفتاحا محوريًا في تشكيل المشهد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في المنطقة العربية، ومازالت أثارها ملموسة حتى اليوم، حيث تُعدّ اليدّ العاملة من الظواهر الاجتماعية والاقتصادية التي تؤثر على الدول المصدرة، حيث تُسهم أيضا في تخفيف معدلات البطالة وتبادل المهارات والخيرات والدوّل المستقبلة لتلبية حاجيات السوق العمل خاصة في دعم النّمو الاقتصادي.

وخلال فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر{1830، 1962} شهدت الجزائر تحرّكات بشريةّ متعددة أبرزها هجرة السكان إلى مناطق مختلفة، أدّت سياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر إلى تغييرات جذريّة في التركيبة السكّانية والاجتماعيّة من خلال الاستيطان وإتباع سياسة الإبادة الجماعيّة والتجويع و ومصادرة ونهب الأراضي وتهجير السّكان الأصليّين وهذا التهجير القسري أدّى إلى تفكك البُنى الاجتماعية وأثرّ على النسيج الاجتماعي وتخلله بالإضافة إلى طمس الهوية ومحاربة اللغة العربية بين صفوف المجتمع الجزائري:" أنّ كل المؤرخين الفرنسيين الذين أرّخوا للهجرة الجزائرية إلى فرنسا ل لا يذكرون السبب الحقيقي وراء هذه الهجرة هو مصادرة الأراضي الخصبة للجزائريين وتمليكها للمعمرّين الجدّد قصد تجريد الجزائريين من كل أنواع المقاومة،

[1]– محطات في تاريخ الهجرة غير الشرعية، https://www.aljazeera.net/2005/03/11

وتحويلهم إلى أيدي عاملة رخيصة في خدمة مزارع المعمرّين التي انتزعت من سكّانها الأصليين وتمليكها لشذاذ الأفاق من الألزاس ومالطة واسبانيا وإيطاليا لتحقيق السياسة الاستعمارية"[1]

والتنقل البشري عبر مرور الزّمن كان ولايزال عاملاً رئيسيًا في تشّكيل المجتمعات والثّقافات في مختلف أنحاء العالم:" وبمنطلق تاريخي فإنّنا جميعا مهاجرون لأنّ أجدادنا سافروا جميعا إلى الأماكن التي أتينا منها، إنّ الدول التي تفرض مراقبة الحدود، يمكنّها أن تعود بالزمن إلى ما قبل القرن التاسع عشر، حيث كانت ولاتزال منتشرة تغطي العالم... بل إنّ رؤيتنا للتاريخ تُشّكل بصورة جوهرية رؤيتنا للهجرة"[2].

لذلك تعتبر الهجرة كنقطة تحول تاريخية وفي هذا الصدد هناك تأثير متبادل بين فهمنا للتاريخ وتصوراتنا حول الهجرة، وأنّ العملية التي ترى بها تاريخنا تشّكل الطريقة التي نفهم بها الهجرة، فالتاريخ يشكل دوافع الهجّرة والهجّرة في ذاتها تسهم في تأسيس التاريخ، وفهم هذا التكامل الوظيفي يساعد على فهم تصوراتنا التاريخيّة للهجّرة، مما يخلق سلسلة تفاعلية وعلاقة تأثير متبادل في تشكيل وبناء هويتنا الجماعية وفهمنا للعالم ككل.

يرى ديديجار في بحثه عن الهجرات البشريّة العلماء عبر التاريخ، أنّ هذا النوع من الهجرة لم يُعرف قبل سنة600 قبل الميلاد، وحدث هذا عندما ارتحل عدّد من العلماء في "العصر البطلمى" من أثينا واستقروا في الإسكندرية التي كانت أشهر مركزا استطاع المعرفة آنذاك"[3].

---

[1]– سعدي بزيان، دور الطبقة العاملة الجزائرية في المهجر، في ثورة نوفمبر 1945(التاريخ السيّاسي والنضال للعمّال الجزائريين في المهجر من نجم إفريقيا إلى الاستقلال) ، دار الهومة، ط2، الجزائر، 2008، ص9 .10.

[2]. جان نيدريفينبيترس، العولمة والثقافة (المزيج /الكوني)، تر: خالد كسروى، المركز القومي للترّجمة، ط1، 2015، ع 2242، ص57.

[3]– محمد الهادي قامي، إشكالية هجرة الأدمغة في العالم العربي، قراءة سوسيولوجيا تحليلية حول الأسباب والتداعيات، مجلة المعارف، جامعة البويرة،ع 22، جوان2017، ص10.

لهذا يُعدّ الانتقال السكاني عبر المكان واحدًا من الظواهر الأساسية الملازمة للوجود البشري منذ القدم، وهو ظاهرة طبيعية تلازم الكائن الحي بحثا عن الأفضل مع توافر عوامل الاستقرار وتزداد أهميته مع ظهور ملامح التّباين في الثروات والخيرات، فالإنسان يبحث دائما عن الأكل والماء وكل من شأنه أنه يساعده في توفير حاجاته الأساسية، وتحسين شروط حياته وحياة أبنائه وأفراد أسرته وعائلته"[1]والانتقال السكاني قفزة محورية في تاريخ البشريّة، ومن الظواهر الرئيسية التي رافقت الوجود البشري، فالتنقلات البشرية سواء كانت نتيجة لتنقيب عن موارد طبيعية أفضل التي تتمثل في الثروات أو هروبا من الكوارث الطبيعية،إلاّ أنّها ساهمت في تشكيل التّنوع الثقافي، ويبقى الانتقال السكاني ليس بظاهرة حديثة، وإنّما هو جزء لا يتجزأ من تطور البشريّة.

2-العوامل المؤدية لظاهرة الهجرة:

تعتبر الهجرة من القضايا العالمية البارزة التي تشهد تزايدًا مستمرا، ممّا يجعلها محط اهتمام الحكومات والمنظمات الدوّلية، فهي ليست مجرد انتقال الأفراد من بلد إلى آخر، بل هي ظاهرة معقدة تنشأ نتيجة تفاعل مجموعة من الأسباب والعوامل التي تؤثر في قرار الهجرة، حيث تدفع البطالة وتدني مستويات المعيشة الكثيرين إلى البحث عن فرص أفضل في الخارج ومن جهة أخرى تشهد الأوضاع السياسية مثل الحروب والاضطرابات في إجبار الأفراد على مغادرة أوطانهم بحثا عن الأمان، كما أن العوامل الطبيعيّة والتغيرات المناخية، أصبحت دافعا رئيسيا للهجرة في بعض المناطق ولا يمكن إغفال العوامل الاجتماعية والثقافية، حيث يسعى البعض للهجرة بهدف تحسين التعليمي أو الالتحاق بذويهم في الخارج، ولا يمكن إغفال دور العولمة والتقدّم التكنولوجي في

[1]- أ.د.أحمد عبد العزيز الأصفر اللّحام، الأضرار النفسية والاجتماعية للهجرة غير المشروعة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، دار جامعة نايف للنشر، الرّياض 1437هـ/ 2016م، ص88.

تسهيل عمليات الهجرة، ولهذا تتعدد أسباب ظاهرة الهجرة وتختلف باختلاف الأنظمة والأقطار، ومن أجل كبّحها والسيطرة عليها يستدعي منّا البحث عن دوافعها وأسبابها وسوف نوضّحها فيما يلي:

عند تناول العوامل أو الأسباب التي أدّت لظهور الهجرة بأنواعها سواء كانت داخلية أو خارجية مؤقتة أو دائمة، إرادية أو اضطرارية يجب تقسيم العوامل والتمييّز بينها، وقد أكدّت معظم الدراسات على أنّ دوافع الهجرة تتمحور في عوامل الطرد من البلد الأصلي وعوامل الجذب في البلد المضيف، وأنّ هذه العوامل تختلف قوة تأثيرها من منطقة إلى أخرى، ومن فترة زمنية إلى أخرى.

ففي كل منطقة يوجد العديد من العوامل التي تشجّع وتحفّز السكان عدم هجرتهم والبقاء فيها، كما أنها تجذب إليها سكانا آخرين، وفي المقابل عوامل تدفع لبعض لمغادرة بلادهم، كما أنّ هناك فئة من السكان غير متأثرين بعوامل الطرد والجذب وهم السكان الأصليون في هذه الحالة، المستقّرون أوطانهم، وبعض هذه العوامل أحدثت تأثيرا واسع النطاق على السكان الأصليين كالمناخ المعتدّل الذي يعدُّ عامل جذب إيجابيا، والمناخ السيء الذي يعد عاملا طرد سلبيا، بينما هناك عوامل أخرى تختلف تأثيراتها مثل: النظم الاقتصادية والاجتماعية والنقل وغير ذلك.

1. الأسباب الاقتصادية:

تَعدّ العوامل الاقتصادية من أبرز المحركّات لظاهرة الهجرة، حيث يسعى الأفراد إلى تحسين مستوى معيشتهم من خلال البحث عن فرص عمل ودخل أفضل، فالتفاوت في مستويّات التنمية الاقتصادية بين الدوّل والمناطق يجعل الهجرة خيارًا ضروريا للكثيرين الذين يعانون في البطالة أو غلاء المعيشة في أوطانهم: "تكاد تكون الهجرة الاقتصادية إنّ صحّ التعبير في اتجاه الشمال أي من جنوب الفقير نحو الشمال الغني والمتطور، فتصبح المناطق الفقيرة في العالم قوة طرد لأبنائها

بينما المناطق الغنية تتحول إلى مناطق جذب لها، ولكن هذه ليست قاعدة عامّة، فهناك بعض البلدان من دول الشمال شهدت هي الأخرى هجرة أدمغتها وعلمائها نحو دوّل أخرى في نفس المنطقة أكثر منها تطوّرا والأكثر إغراء في ارتفاع الأجور فيها"[1].

فالعامل الاقتصادي يؤدي دورًا رئيسيًا في المجتمعات البشرية وهجرة السكان حيث توجد فجوات واسعة في مستويات الدخل بين الدول الفقيرة والدول الغنيّة، ممّا يدفع الأفراد للبحث عن فرص عمل ذات أجور أعلى وظروف معيشية أفضل في البلدان ذات الدخل المرتفع.

بالإضافة إلى تدني الوضع الاقتصادي في البلدان المصدّرة للمهاجرين، التي تشهد في عمليات التنمية، وقلة فرص العمل، وانخفاض في الأجور وارتفاع في مستويات المعيشة، وإضافة إلى الحاجة إلى الأيدي العاملة في الدوّلة المستقبلة للمهاجرين"[2]يعني هذا أنّ الدوّل التي يهاجر منها المواطنون تعاني من مشكلات اقتصادية تؤثر على مستوى العيش فيها مما يدفع السكّان إلى البحث عن فرص أفضل في الخارج. بسبب زيادة الأسعار في السلّع والخدمات ما يجعل الحياة صعبة للمواطنين أيضا عدم توفر وظائف كافية مما يؤدي إلى زيادة البطالة خاصة بين الشباب وأصحاب الشهادات العليا مما يؤدي إلى ظاهرة هجرة الأدمغة.

2. الأسباب الدّيمغرافية:

تلعب الأسباب الديمغرافيّة دورًا رئيسيا في دفع الأفراد إلى الهجرة من بلدانهم بسبب الاكتظاظ وندرة فرص العمل، وارتفاع كبير في معدلات النمّو السكاني مما يزيد من الضغط على الموارد

---

[1]. بوساحة عزوز، اتجاهات الطلبة الجامعيين نمو ظاهرة الهجرة الخارجية، مذكرة تخرج شهادة الماجستير في علم اجتماع التنمية، قسم علم الاجتماع، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2008،2007، ص 125.

[2]– عثمان الحسن محمد نور، ياسر عوض كريم مبارك، الهجرة غير المشروعة والجريمة، جامعة نايف العربية العلوم الأمنية، الرّياض 2008، ص23.

الاقتصاديّة والخدمات العامّة مثل الصحة والتعليم والسكن، وعندما لا تستطيع الدوّلة توفير احتياجات سكانها، يلجأ الكثيرين للهجرة إلى الخارج هو الحل الجذري لهم "بالإضافة إلى عامل الفقر والتخلّف نجد العامل الديمغرافي كعامل أساسي في تفسير دوافع الهجرة، ومنطقة غرب المتوسط تؤكد هذا الطرح بحيث تصاعد سكان أوروبا ما بين 1815 و1870 من 190مليون نسمة إلى 300 مليون نسمة، ووصل هذا العدد إلى 450 مليون سنة 1914"[1].

ولكن المؤرخين الفرنسيين الذين أرّخوا للهجرة الجزائرية بفرنسا يرجعون السبب الديمغرافي هو عدم وجود توازن بين السكان والثروة الجزائرية، ولهذاماآل إليه بعض الفلاحيّن الجزائريّن هجّر قراهم ومداشرهم، وركبوا البحر إلى فرنسا بحثًا عن لقمة العيش التي حُرموا منها في بلدهم الأم الجزائر"[2].

ما نخلص إليه ممّا سبق فالعامل الديمغرافي للهجرة يرتبط بالنمو السكاني واختلال الفئات العمريّة والفجوة بين الجنسيّن ممّا يدفع الأفراد للبحث عن فرص أفضل، إلاّ أنّها تُظل ظاهرة طبيعية ومستّمرة تعكس التغيّرات الاجتماعيّة والاقتصاديّة في العالم.

3. الأسباب السياسية:

تعد الأسباب السياسيّة من العوامل الرئيسيّة التي تدفع الأفراد والجماعات إلى الهجرة من أوطانهم الأصليّة إلى دوّل أخرى، للبحث عن الحريّة والحقوق الأساسيّة اللذّان يعتبران ركيزتان لاستقرار الإنسان وأمته، والهروب من الاضطهاد والتمييّز بحثًا عن بيّئته أكثر عدلا وشفافية، لهذا

[1]– د، أمحند برقوق، إشكالية الهجرة والأمن في غرب المتوسط، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السيّاسية والعلاقات الدّولية، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، جوان2008، ص58.

[2]– ينظر: سعدي بزيان، دور الطبقة العاملة الجزائرية في المهجر، ص10.

تعد الحروب والنزاعات الداخلية من أهم الأسباب الناجمة عن الصراعات العراقيّة أو العقائدية أي الفرار من الحروب الأهلية في بلد المنشأ نتيجة الاضطهاد الديني، الترهيب و القمع، الإبادة الجماعية، التي يتعّرض لها المدنيون أثناء الحروب أحد المسببات الرئيسية لهجرة الأشخاص إلى أماكن آمنة، كما أنّ طبيعة الأنظمة السياسية المبنية على الانتماء العرقي في الدوّل الجنوبية التي نجم عنها مخاطر وصراعات سياسية أدّت إلى معارض مسلحة"[1].

تساهم الحروب السياسية دورًاكبيرًا في دفع الأفراد والمجتمعات إلى الهجرة، حيث تؤدي إلى انعدام الأمن وتدهور الأوضاع المعيشية وغالبا ما يؤدي إلى اضطرابات أمنية لهذا مما يحثّ بعض المدنيين على الفرار إلى أماكن أكثر أمناً.

3- الهجرة في الرّواية العربيّة المعاصرة:

تمثل الرّواية اليوم أهم جنس أدبي حائز على القبول الجماهيّري، نظرًا لاحتوائها على الموضوعات المختلفة، لهذا سخّروا الروائيين قلمهم للكتابة في شتّى المواضيع خاصّة في تلك التي لها علاقة بالمجتمع وقضاياه وهموم الإنسان المعاصر، ولهذا أهم قضية اجتماعية سعى معظم الروائيين إلى معالجتها وهي الهجرة، كونها قضية محورية في الأدب العربي شغلت بال المفكرين والأدباء في الساحة الأدبية، حيث تناولوا الكثير من الأعمال الأدبية وانتجعوا تجارب المهاجرين وانغماسهم في بيئاتهم الجديدة والتّكيف مع الثقافات.

فالهجرة ليست مجرد وسيلة أو موضوع أدبي، بل هي بوابة تطل من خلالها الّرواية العربيّة على مسائل إنسانية بحتة ودقيقة، مثل الفقر، الصراعات الثقافية أي الصراع الداخلي الذي يتّجلى

1- د. بخوش صبيحة، الهجرة غير الشرعية وتداعياتها على منطقة شمال إفريقيا (الجزائر أنموذجا) مركز الدراسات الإفريقية وحوض النيل، المجلّد1، العدد1، 2018، ص06.

في نفس المهاجر، وأغلب الروايات العربية هي بؤرة تدفع القارئ لتحليق في آمال ومخاوف معاناة المهاجرين، وفي هذا السيّاق صنعت الرواية العربية من موضوع الهجرة غاية لتصّور و وعي بالتحولات الكبرى التي لاحظتها المجتمعات العربية سواء على المستوى الصعيد المحلي أو الدولي، والهجرة فرع من فروع الإنسانية ورمز لمعاناة الإنسان، حيث تجاوزت كل ما هو واقعي، وتجلت الرواية العربية في الآونة الأخيرة تفاقما متزايدا على الهجرة الحاصلة والناتجة عن الحروب والخلافات خاصة ما تعاني منها سوريا، والعراق، وفلسطين وهذه الأخيرة شغلت العالم بصفة عامة والبلدان العربية بصفة خاصة، وتظهر الهجرة بؤرة تحوّل لبلورة الذات بعد التجارب المأساوية التي استمدّت منها واتخاذها ألية من آليات التجربة الروائية والخوض في معالمها.

شكلت الهجرة في كل الآداب العالمية موضوعا وتيمة أساسية للكتابة، والنماذج الروائية من أهم الآداب تعبيرا عن معاناة المهاجرين ومواقفهم وآرائهم، فكانت الروائية وصفا للذات التاريخية التي يعيشها المهاجر بآمالها وانكساراتها وإحباطاتها. إلاّ أنّ الرواية العربية لم تبْرح في تناولها للهجرة.

وتجلّت هذه الأخيرة من خلال الروايات التي جسدت خطاب ما بعد الاستعمار، كما جسدّت خطاب ما بعد الاستقلال بنقل ألاف من المهاجرين العرب من شمال إفريقيا إلى أوروبا زيادة على ظروف الحروب الأهلية في لبنان وتدهور الأوضاع السياسية في السودان والصومال والصراع العربي الإسرائيلي الذي أفرز أعداد هائلة من المهاجرين والمنسيين، وهذه المرحلة شهدت نصوصا روائية عربية رائدة عبرّت عن الجرح العربي، وهي تعبّر روحانية الشرق مقابل مادي الغرب، كما أنّ الهجرات الداخلية بين الأقطار العربية بعد نكبة 1948 وهزيمة 1967 التي أدّت إلى هجرة

الفلسطينيين إلى مختلف بقاع العالم، زيادة على هجرة العمّالة العربية إلى بلدان الخليج العربي"[1]إذْ إنّ الهجرة هي أكبر مأساة يعاني منها عصرنا، فقد كتب حولها أدباء كثيرون من أبناء المهاجرين أنفسهم وأهاليهم وأدباء من أبناء العالم الأول، وفي هذه الكتابات بتنوع مشاربها وقناعاتها وهوياتها تتقاطع كلها في ضبط معاناة المهاجر عامة، سواء في بلده الأصل أم في بلد الاستقبال ومن بينهم محمد شكري في رويته الخبز الحافي، محمد زفزّاف في روايته "محاولة عيش وبومدين بلكبير في روايته خرافة الرجل القوي" .

ويظهر هذا في قوله: "ويبقى الجامع لكل أسباب الهجرة وأنواعها هو نفس المهاجر وما يعتزّ بها من اغتراب، وبحث عن الأمن لإخماد صوت القلق الوجودي، لهذه الأسباب مجتمعة برزت الأبعاد الإنسانية في الهجرة والتي شكلّت نسقًا واضحا في الخطاب الروائي المعاصر، وحاول معظم الروائيين أنّ يطرّقوا مواضيع مستلهمين أضربا من آليات التجريب الروائي والثورة على الأنساق السردية المعروفة، ومثلّت رواية الطيب صالح موسم الهجرة إلى الشمال أولى الأعمال الروائية ما بعد الاستعمارية المصوّرة للمهاجر العربي وهو في صراع بين ذاته ومحاولة الحفاظ على هويته وانبهاره بعالم الشمال"[2].

وفي هذا الصدد تستعرض الرواية جملة من الصراعات الداخلية التي يواجهها الأفراد في صعوبة التكيّف وانخراط مع ثقافات مختلفة وفي نفس الوقت شخصية مصطفى سعيد هي الشخصية المحورية التي تدور عليها أحداث الرّواية حيث كانت جلّ تجارب مصطفى في الغرب واشتملت على عدّة مواضيع وقضايا مفتّاحية منها الهوّية وكذلك اشتباك مع الثقافات الأخرى.

1- حورية الحمليشي، خرائط الهجرة في الرواية العربية، مجلة محكمة، 9يناير 2012.

2- زهرة بن يمينة، قداويسومية، المهاجر في الرّواية العربية المعاصرة بين واقعية المشهد والبناء السّردي، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2024، ص289.

4- تحديد مفاهيم متعلّقة بمفهوم الهجرة:

1.الهجرة الشرعية:

تعد الهجرة الشرعية شكلا من أشكال انتقال السكان من أرض تدعى المكان الأصلي إلى مكان آخر يدعى مكان الوصول، وهي وسيلة قانونية أيضا وآمنة للأفراد الراغبين في تحسين ظروفهم المعيشية ممّا تسهم هذه العملية في تنظيم حركة الأفراد بين الدّول، وتعزيز التعاون الدّولي وتتضمن الحصول على تأشيرات وتصاريح لازمة وقد تكون الهجرة الشرعية إما داخلية أو خارجية أو دائمة أو مؤقتة؛ وغيرها.

"كما تحدث الهجرة المشروعة في الدول التي تسمح قوانينها للمهاجرين بالقدوم إليها وفق لأنظمتها وإجراءاتها وحاجاتها، فتمنح ذلك الدّول تأشيرات دخول نظامية لمن ترغب في استقبالهم من المهاجرين"[1]، وهي على عكس الهجرة غير الشرعية، وشرط أنّ تكون الهجرة أيضا شرعية من خلال الحصول على إذن بالدخول للمنطقة المقصودة وهذا نعني به هو تأشيرة السفر أو الفيزا هي عبارة عن شهادة صادرة أو ختم يحمل علامة من سلطات الهجرة في بلد ما ونعني بها وثيقة رسمية تصدرها سلطات الهجرة في دوّلة معينة و تسمح لحاملها بالدخول إلى تلك لفترة محدّدة وبهدف معيّن مثل: السيّاحة، العمل، الدراسة، العلاج وأيضا تمنّح للطلاّب المسجّلين في الجامعات أو المؤسسات التعليمية الأجنبية.

1- عثمان الحسن محمد نور، ياسر عوض الكريم مبارك، الهجرة غير الشرعية والجريمة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2008، ص17.

2.الهجرة غير الشرعية:

هي انتقال الأفراد من بلد إلى آخر بطرق غير قانونية مثل: عبور الحدود دون وثائق رسميّة، استخدام تأشيرات مزوّرة أو البقاء بعد انتهاء صلاحية التأشيرة، تحدث هذه الهجرة غالبا بسبب العوامل الاقتصاديّة أو السياسيّة أو الاجتماعيّة تدفع الأفراد إلى البحث عن حياة أفضل رغم المخاطر.

الهجرة غير المشروعة فهي "التي تعني أنّ المهاجرين يدخلون البلاد بدون تأشيرات أو أذونات دخول مسبّقة أو لاحقة، وتعالني غالبية دوّل العالم من مشكلة الهجرة الغير المشروعة، وخاصّة الدوّل الصناعية التي تتوّفر فيها فرص العمل"[1]. ومعنى هذا بالهجرة غير النظامية أو الهجرة السرّية وهي انتقال الأفراد من بلد إلى آخر عبر الجوّ او البحر أو البرّ بطرق تنتهك القوانين المعمول بها، وقد يتضمّن هذا دخول البلاد بدون تأشيرة دخول صالحة. ومثال عن ذلك: تعتبر الهجرة غير الشرعية قضية محوّرية وهامة وشغل الشاغل لدى أغلب الشباب في الجزائر حيث يسعى للهجرة إلى أوروبا بحثًا عن العمل بالإضافة إلى حياة أجمل.

3.الاغتراب:

الاغتراب مصطلح العمق، وعريق الأصل، ضاربة جذوره منذّ أنّ خُلِقَ الإنسان على وجه الأرض، إذ يعود إلى تلك اللحظة المتعالية التي غرّبت فيها الجنة بنعيمها السرمدي آدم عليه السلام فنزل إلى الأرض مغتّربا عنّها وعن المعيّة الإلهية التي كان يحصى بها قبل عصيان آمر ربّه فتلك هي بحق وصدّق أولى مشاعر الاغتراب ويستحيل على الإنسان أنّ يعيش بغير علاقة

[1]– م ن، ص ن.

مع آخر ولهذا شاءت الإرادة الإلهية أنّ تخلق لآدم عليه السلام زوجة قبل أنّ يترك الجنّة، استباقا لما سيقع ليقيم كل منها مع الآخر تنتج وتدفع مشاعر.

ومصطلح الاغتراب من أكثر المصطلحات تداولا في الكتابات التي تعالج مشكلات المجتمع والفرد، كوّن هذا الأخير يغترب عن نفسه وينعزل عن مجتمعه، ويعرّف هيجل الاغتراب على أنّه "حالة اللاقدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان، عندما يفقد سيطرة على مخلوقاته ومنتجاته وممتلكاته، فتوّظف لصالح غيره بدل أنّ يسطو هو عليها لصالحه الخاص"[1]بمعنى هذا يشعر الإنسان بالعزلة والانفصال عن الآخرين ممّا يؤدي إلى شعور بالعزل وفقدان المعنى في الحياة، ومن خلال هذا عندما يفقد الفردّ القدرة على التحكّم في نتائج أفعاله يؤدي إلى شعور بالفشل و الإحباط وكذلك التجزئة الاجتماعية هي العامل الرئيسي في تحطيم الفرد.

وكمّا تعرّفه مريم نجمة بأنّه الاغتراب عن الوطن هو اقلاع المرء من جذوره وتحوّله إلى بيئة أخرى وقد يكون اغترابا قسريا أو اختياريا، بعيدًا عن مكان ولادته وملعب طفولته وذكرياته فهو امتحان صعب وقاس له تأثيرات عميقة على الروح والجسد والفكر"[2] بمعنى هو حالة انسلاّخ وتجرّد من ثقافة اجتماعية وعدم الانتماء لوطنّه وهوّيته، فالغربة عن الوطن ليست مجرد انتقال من مكان لآخر بل هي تجربة وجودية تعكس صراع الفرد مع ذاته ومحيطه الجديد من حيث الثقافات والعادات.

ومن هذه التعريفات نرى أنّ الاغتراب هو الحالة التي يتعرّض لها الفرد من عجز وفشل وإحباط وضعف عند الانفصال عن وطنه أو بعده عنّه.

---

[1]– د. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، دار النشر والتوزيع، بيروت، أيلول، سبتمبر2006، ص37.

[2]–مريم نجمة، الاغتراب عن الوطن وتأثيراته الروحية والفكرية والاجتماعية على الفرد، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=54751.

4. الهوّية:

عند الغوص في معالم الهوّية في مفهومها الاصطلاحي ننصدم بمعرفتها أنّها تجمع متناقضات عدّة بين ما هو ملموس وما هو مجرّد حيث أنّ الهوية شيء أساسي في تكوين الذات كوّنها هي ما يصدر من الإنسان عبر الزمن، والهوّية مفهوم لا يقبل التعريف لأنّ كل تعريف هو هوّية بحدّ ذاته "فالهوّية هي مؤشر انتماء الإنسان إلى وطن ومجتمع ودوّلة وهي وسيلة تمايز يدرك من خلالها بأنّه كفرد يختلف عن الآخرين من حيث الاسم والجنس والتركيب الجيني والبناء الفكري والثقافي والدّيني والوطني لشخصية الفرد"[1] . فالهوّية مفهوم معقّد يعكس جملة من السّمات والخصائص التي تميّز الأفراد والجماعات وتشكّل إحساسهم بالذات وتفرّدهم مثل الهوية الثقافية التي تنطوي تحتها العادات والتقاليد واللغة التي تعتبر وسيلة يتبنّاها الفرد والمجتمع، الهوية الدينية تتعلق بالمعتقدات والممارسات الدينية أمّا الاجتماعية فتنطوي تحت إطار الفرد الذي يلعبه في المجتمع كونه طالبا أو موّظفا، فكل هذه تشّكل هوية الفرد وتختلف من شخص لآخر بناءً على بيئته وتجاربه اليومية وتفاعله مع العالم الحيط.

وبناءً على ما سبق ذكره واستنادا على ما قمنا بتعريفه في مصطلح الهوية نجدّ أنّها مجموعة من المميزات التي يمتلكها الأفراد التي تسهم في جعلهم متفرّدين من طراز فريد من نوعه عن غيرهم، وقد تكون هذه المميزات مشتركة بين جماعة من الأفراد داخل مجتمع الواحد.

5. العولمة:

العولمة مفهوم متعدّدة الدلالات ومختلف المعاني يصعب تحديده بدّقة وبقبول عام، كما أنّها وإنّ كانت ظاهرة قديمة إلاّ أنّها اتخذت أبعادًا جديدة، واكتسبت مضامين من رحم جوهر الحداثة، فالعولمة من زاوية تعني تقارب المسافات والثقافات في بَوْثقة واحدة ومن ناحية أخرى لا يمكن

[1]–فؤاد بدوي بطرس، الهوية وثقافة السلام، الطبعة الالكترونية، 2008، ص20.

حصر العولمة في نطاق محدّد مهما اتصف النطاق بالشمول والدّقة: "فتبقى العولمة سيّاقا مهمًّا وحاسما لفهم الهجرة في القرن الواحد والعشرين... فالهجرة جزء لا يتجزأ من العولمة وهي في حدّ ذاتها تُعيد تشكيل المجتمعات والتجمّعات السكانيّة"[1] .

لهذا تعدّ العولمة عملة ذات وجهين فهي ظاهرة معقّدة تحمل في طياتها فرص وتحدّيات مما يتطلّب من الدوّل والمجتمعات وتبنيها لاستراتيجيات توازي بين الاستفادة من فوائدها والتخلّي عن أخطارها. وفي الوقت نفسه هي عملية تفاعل بين الأفراد والشركات والشّعوب، ممّا يؤدي إلى تقليص الحدود الجغرافيّة والثقافيّة بين الدوّل، وبما أننّا لا ننسى أنّ العولمة والهجرة ظاهرتان مترابطتان كون العولمة ثوب الهجرة وتساعد في تسهيل حركة الأفراد عبر الحدود لتضع الهجرة في قالب يسعى لتعزيز وتوسيع تأثيرات العولمة على مختلف الأصعدة.

وما نخلّص إليه بعد هذه الدراسة التحليلية أنّه لا يمكن أنّ نعرف العولمة على أنّها تهدف إلى إيجاد نوع من التّقارب والتّجاوز بين مختلف الثّقافات العالميّة تحت غطاء القرية الكونيّة.

6.الاندماج:

الاندماج هو عملية انصهار ودمج و توحيد الأفراد أو المجموعات المختلفة داخل المجتمع الواحد، بحيث يصبحون جزءًا من هذا المجتمع ويعيشون فيه بشكل متكامل ومتناسق، أو في علاقة تكامل وظيفي فالاندماج عملية تستهدف تقليص الهوة بين المهاجرين وبين المجتمع المستقبل له: "على الرغم من أنّ الاندماج أصبح ظاهرة قديمة يبقى له بعض المزايا الأساسية، ليس السكان الأصليين فحسب بل لكل من يعنيهم الأمر، من الناحية الأخلاقية هو يتماشى مع

[1]– ستيفينكاستلز، مارك ميللر، عصر الهجرة، تر: منى الدروبي، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة،2013، ص144.

القاعدة الذهبية في التعامل مع الآخرين بالطريقة التي تريدهم أنّ يعاملوك بها"[1] ومعنى هذا أنّ يشمل الاندماج التفاعل والتعاون بين الثقافات المختلفة مع احترام التنوّع وتوطيد العلاقات والتفاهم المتبادل، حيث يهدف إلى تحقيق التوازن والتعايش السلمي بين الأفراد في ظلّ إطار المساواة.

يتحقّق الاندماج بالتّكيف الاجتماعي بين الأفراد حيث يسعى المهاجرون إلى التّأقلم مع القيم والثّقافات مع الاحتفاظ بهوّيتهم الأصليّة، وهو يلعب دور أساسي في تعزيز التنوّع الثّقافي، لكنّه قد يكون تحديًا لكلّ المهاجرين.

[1]– بول كولبير، الهجرة كيف تؤثر في عالمنا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أغسطس2016، ص103.

الفصل الثّاني: تمظّهرات الهجرة في الرّواية.

1- الشّخصيّات المهاجرة في الرواية.

2- النسق الزمني للهجرةفي الرواية.

3- الصّراع بين الهويّة والاندماج.

4- صورة المرأة في شخصيّة فيفي.

5- سيميائيّة غلاف الرواية.

1. الشّخصيّات المهاجرة في الرّواية:

أ. الشّخصيّات الرئيسيّة:

تُعتبر الشّخصيّة الرئيسيّة العنصر الّذي يحاول الكاتب دائما أن يسلّط عليه الضوء ويُظهره في صورة بطوليّة، حيث أنّه يعطيها في أغلب الأحيان أهم الأدوار" هي التي تقود الفعل وتدفعه الى الأمام وليس من الضّروري أن تكون الشّخصية الرئيسيّة بطل العمل دائما، ولكنها هي الشّخصية المحوريّة، وقد يكون هناك منافس أو خصم لهذه الشّخصية "[1].أي أنّها تحتلُّ مرتبة الصدارة في العمل الّروائي وهي الأكثر ظهورا في الرّواية وتعبر عن الفكرة الجوهرية التي تستند عليها الرّواية وفي الوقت نفسه تعرف هذه الشّخصية أيضا "البطل" وقد عرفها سعيد يقطين "يمكننا التّمييز بين الشّخصيّة الرّئيسيّة وهي تتواتر على طوال النص، وتضطلع فيه بدور مركزي وشخصيات أساسية وهي أيضا تضطلع بدور مركزي في الحكي، ولكنها تختفي في لحظة من لحظات مخيلة دورها لشخصية أساسية أخرى"[2].

تتنوّع الشّخصيات في رواية كعبة الشّمال والزّمن الخائب بين الرّئيسية والثانويّة، وكل واحدة منها تحمل دلالة رمزيّة معينة مرتبطة بالزّمان والمكان الّتي تنتمي إليهما.

---

[1]. صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع عمان، الأردن،2006، ص 117.

[2]سعيد يقطين، البنية الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، طبعة 01، 1997، ص 93.

ب. **الشّخصيات المهاجرة:**

لقد حظيت الشّخصيات باهتمام زائد لدى الكتّاب كونها تمثل أهم المكوّنات في العمل الحكائي، فالشّخصيات هي الّتي تمثل عنصر الحركة في الرّواية، فمن المفترض أنّ تكون مستوحاة من الواقع وتحمل أمالا ومخاوف في الوقت نفسه، لهذا تجلّت في الرّواية شخصيات مهاجرة نذكر منها:

شخصية فريدة: تعتبر شخصية فريدة من الشخصيات السّارِدة والمحوريّة الّتي حملت اسم "فيفي" أيضا، تتّسم هذه الشّخصية بالفَرادة والتميّز، وتُعتبر من عائلة جزائرية محافظة متشبّثة بتقاليدها وعاداتها وكذلك هويتها التي باتت كابوسا يهدّد بحياتها، كما تظهر رغبتها في الانخراط والتكيّف مع ثقافة المجتمع الفرنسي في قولها "...ومع ذلك أقرُّ اليوم بعد سنوات طويلة، وبرغم ما آلت إليه حياتي الخاصة من تدهّور أننا عشنا طفولة هادئة وسعيدة الى حدّ كبير، وذلك بفضل المدرسة التي آوتنا واحتضنتنا وعمل المعلّمون المستحيل كي نتعلم اللغة الفرنسية ونندمج في المجتمع الفرنسي، نحن أطفال المهاجرين الّذين نتحدث بلغتنا الأصلية في بيوتنا، ونخضع الى تقاليد وأعراف يصرّ أولياؤنا على تلقينها لنا، مقتنعين أنهم غير فرنسين، ومن واجبهم أن يحافظوا على هويتّهم اللّغوية والثّقافيّة وبالأخص الدّينية...وكنت أعود من المدرسة ورأسي مشحون بالكلمات الفرنسية التي تصرّ معلّمتنا مدام مونيك على نطق حروفها بالكيفيّة الصحيحة"[1].

إلاّ أنّ والدها كان قاسي معها وعاشت تحت وطأة وسلطة وقوانين أبيها الصارمة لتصبح بذلك في دائرة مغلقة ومقيدة في قالب الضغوطات الاجتماعية والثّقافية، وحتى النّفسية تحمل في

[1] . محمد ساري، كعبة الشمال والزمن الخائب، دار العين للنشر، قصر النيل، القاهرة، الطبعة1، 2025م، ص94.

طيّاتها تحديات العمل والحياة في بيئة مغمورة بالمعاناة والآلام واللّامبالاة والتّراخي وسبب هجرتها هو العنف الذي مارسه أبوها عليها، من كُره وقسوة لأنّه حدّ من حريتها وكان يضربها كثيرا، ووصل به الأمر في آخر المطاف إلى طردها من البيت نهائيا ويتجلّى في هذا المقطع "...وتفجّرت بداخلي صرخاته الرهيبة وهو يُطردني من البيت من جديد، أرعدت جسدي الجريح وطنّت عباراته الباترة كشفرة مقصلة في الهواء الصّباحي البارد. احملي لقيطك واخرجي من داري...وسخّت سمعتي وسمعة العائلة ...صرتُ أضحوكة لدى الجميع هنا وهناك في البلد، كيف سأجرؤ كان إظهار وجهي أمام الناس بعد الذي حدث معك؟ لطخت شرفي وعفرته في التراب، اخرجي من داري لستِ ابنتي ولا أنا أبوك..."[1].

وفي مقطع آخر:" هذه هي الحياة التي كنت أريد أن أعيشها، ولكن أبي بممنوعاته الصارمة حال دون ذلك في أغلب الأحيان، وتسبب في صدامات تكرّرت إلى حدّ طردي من البيت"[2]. ويظهر ذلك بأنّ فريدة تبحث عن هوية خاصة كأنثى لها الحرية التامة في اتّخاذ قرارتها خارج نطاق الحدود التقليدية التي زادت من حدة معاناتها، مما دفع الأب أن يمحو صلتها ويتبرأ منها لأنه لا يعترف بوجود حرية للمرأة، حيث تبقى الواجهة والرمز للعائلة التي تحمل الشرف والكرامة.وبهذا تصبح فريدة بلا هوية، بلا جذور بلا انتماء، بلا حماية مما يولّد فيها شعور بالغربة والضياع ويغذي رغبتها في التمرد والانسلاخ والنفور "انتابتني غربةٍ موحشة، لم أعدّ أتعرف على نفسي في هذا الحيّ الغريب عنّي الجدران أيضا اكتست حيادا وفراغا لا توحي لي بشيء...لقد تغيّرت ملامحي كلية، فقدت نضارة شبابي"[3].

---

[1]. الرواية، ص6.7.

[2]. الرّواية، ص 55.

[3]. الرّواية، ص 18.

يعتبر زواج فريدة محطة و نقطة انتقال كخيار معاكس لما كانت ترغب فيه في البداية، ودفعت نفسها إلى الزواج كوسيلة للنجاة الاجتماعية وتبقى شخصية فريدة رمزًا وعلامة ونموذجًا يَحْتذَى به للمرأة الجزائرية بصفة خاصة والعربية بصفة عامة، وتظهر في بداية الرّواية كامرأة حرّة متمردّة على التقاليد، تحاول أن ترسم مسارًا خاصا في المجتمع، لكن مع تطور الأحداث في الرّواية تتعرّض للتهميش والاحتقار من طرف أبيها الذي وصفته بالغول والتي انكسرت من أقرب الناس إليه بدافع الحقد وغيرها من ذلك ويتجلى ذلك: "... أما بخصوص والدي فما عادت ذاكرتي تستحضره كشبحٍ مزعج مقلق، ينصهر بعيدا في غياهب المدى المظلم، وفي حالات نادرة جدا، حينما يجبرني الحنين إلى استذكار طفولتي وشبابي، وبالأخص بعد أن أخبرتني راشا منذ أزيد من خمس سنوات بأنّه عاد إلى الجزائر تزّوج ثانية، واستقرّ هناك...فسألت بنبرة سخريّة ظاهرة " ألاّ يزال هذا الغول حيًّا؟"[1].

ومن جهة أخرى: "هكذا كنت أسميه منذ الصغر وهو بأوامر يمطرنا وموانعه وتهديداته بصوته الجهوري الخشن، ونحن نتحاشى جبروته بالتملص نحو غرفتنا كالفئران المذعورة عند رؤية القط في حلقات فيلم توم وجيري"[2].

فيفي في صراع داخلي دائم مع نفسها تارة تبدو قوية وتارة أخرى متألمة ومحطمة نفسيا تبحث عن مخرج من هذا الواقع المتأزم وفي الوقت نفسها تحمل في داخلها امرأتين الأولى تواجه العالم بابتسامة موجعة وساخرة والأخرى تبكي في صمت "ولكنّي لم أمتلك الشجاعة الكافية. صوت بداخلي يصرخ آمرا:" أنتِ مجنونة يا فيفي من سيعبأ برحيلك؟ أنتِ واهمة إن تصورت أنّهم

[1]–الرواية، ص6.

[2]–الرّواية، ن ص.

سيحزنون على فقدانك، أو أنهم سيذرفون دمعة واحدة ألم تقطعي وعدا على نفسك يوم خروجك القسري من بيت عائلتك أنك سوف تقاومين وتتغلّبين على جميع العواقب"[1].

في موضع آخر: "كنت أخزّن بداخلي طاقة لا يبدو أنها ستضعف أوتنتقي، عنادا يقاوم أعتى العواصف. وكنت دوما أقنع نفسي بأنني قادرة على التكفل بمصيري دون مساعدة أحد، مردّدة باستمرار وأنا أخاطب نفسي "يبقى كوني شجاعة يا فيفي...لا تستسلمي، قاومي واصبري...لا شيء يبقى على حاله...كل مصيبة إلا ومالها الزوال"[2].

شخصية الأم: هي شخصية صامتة، قوية الحضور رغم قلة الكلام، وهي حلقة أو جسر للتواصل بين أفراد الأسرة، وتلعب دور الوسيط بينهم، والأم في الرّواية ليست شخصية أمومية فقط، بل رمز للهويّة الأصليّة وللخسارات الصامتة، حيث تحتل موقعا رمزيا عميقا، تمثّل ذاكرة الانتماء التي تتآكل مع الزمن، بالرغم من أنّها تظهر في الرّواية كثيرا عبّر أفعالها أو حواراتها، بل من خلال حضورها الصامت والمستمر الذي يعكس صبر المرأة الجزائرية في مواجهة القهر الاجتماعي وحملت عبئ العائلة ومشقات الحياة بما فيها من آلام ومعاناة وخيبات: "واشْ نحكي لك يا فريدة، يا بنتي؟ يعجز اللسان عن ذكر ما عانيته من آلام وأحزان وإهانات لا تتحمّلها البهائم، أنت محظوظة هنا في فرنسا، بسهولة وجدت عملا وسكناً لن تعودي بحاجة إلينا. آه لو تعرفين كيف كنّا نعيش نحن في زماننا؟ تدفن المرأة وهي حيّة ليس لها خيار منذ طفولتها الأولى إلاّ الخضوع التام لأبيها وإخوتها الذكور أوّلا... يا بنتي العزيزة لو أقصّ عليك شقاء حياتي لاعتبرت نفسك هنا في الجنة"[3].

---

[1]–الرّواية، ص 89.

[2]–الرواية، ص13.

[3]– الرّواية، ص77، 78.

إنّها الأم التي عاشت كل الأوجاع إنّها تمثل الماضي الذي لا يمحى والحنين الذي لا يشفى، وبهذا تصبح الأم مرآة لزمن خائب.

وتعمل الأم جاهدة على التهدئة والتخفيف من حدّة وكثرة الصراعات المتزامنة بين الأب وفريدة في كلماتها الشهيرة في قولها "أبوك لمْ يقصدْ ما يقول... لسانه قبيح ولكنه قلبه أبيض"[1].

شخصيّة الأب: شخصيّة الأب ليست مجرّد حضور عابر، بل هي شخصيّة محورية تحمل أبعادا رمزية ونفسية عميقة، وفي نفس الوقت يجسّد صورة الأب الجزائري العربي المحافظ، الذي يرى في عائلته رمزًا للشرف، متمسّكا بعاداته وتقاليده مما يجعله في صراع داخلي في الحفاظ على هويته وبين التحديّات والثقافة المتفتّحة في فرنسا، وشخصيته تبدو صارمة وجامدة وقاسيّة ويظهر هذا جليٌ في الرواية: "عندئذ التفت أبي إلى ابني يانيس رمقه بنظرة ازدراء، وصرخ بأعلى صوته: "ارفدي الحرايْمِي تاعك واخرجي... ثم اقترب مني ودفعني نحو باب الخروج، انكمش ابني من الخوف وسارع يحتمي بي، كتمتُ غيظيْ ولمْ أنطق بكلمة، بدأ ابني يانيس يبكي بصوت مرتفع... ولكن أبي ازداد ضراوة وارتفع صراخه وهو يأمرني بمغادرة البيت، لاعنا، شاتما، ساخطا"[2]. وفي هذا المقطع ظهر بطش الأب مع ابنته فريدة وحفيده الذي كان يدعوه بأنّه ولد حرام، فكانت القسوة طاغية ومشاعره جيّاشة اتجاه ابنته ممّا يزرع بداخلها الآلام.

الأب في الرواية لا يرمز فقط إلى الفرد بل إلى الوطن القاسي. الذي لا يغفر ولا يرحم والذي يجعل أبناءه يدفعون ثمن حريّتهم بالغربة وهذا ما يتجسّد في الروايّة: "لهذا جئت بكم للعيش هنا.

---

[1]– الرّواية، ص 107.

[2]– الرواية، ص15.

فرنسا أرض الدنيا كلّها فيها الشغل، والسكن، والمدرسة..."[1] وفي مقطع آخر: "يقول إنّه جاء إلى فرنسا ليتخلّص من ضجرهم وضجيجهم المُقْرِفْ، ليصبح فرنسيا تماما كما الفرنسيين"[2].

شخصيّة راشا: هي شخصيّة ثانوية في الروايّة، لكنها تؤدي دورًا مهما في تشكيل المحيط العائلي الذي تعيش فيه البطلة، وتمثّل نموذجا للفتاة التي تحاول التكيّف والانغماس في محيطها التقليدي على عكس أختها فريدة المتمرّدة، تتّصف بالهدوء، وأحيانا تخضع لقوانين وعادات عائلتها وهذا ما يعكس لنا الفجوة النفسية بينها وبين أختها، لهذا ترمز إلى النساء اللّواتي اخترن الصمت بدل المواجهة، لهذا وظّف الروائي شخصية راشا كفئة قليلة موجودة في واقع المجتمعات العربية المحافظة بصورة العائلة خاصة ونجد في هذا المقطع: "في المساء، عاودت راشا الاتصال بي ملحّة على واجب زيارتي له، كان بصوتها ارتعاش وهلع تخنقه الشهقات ومع ذلك تحكّمت في كلامها... "لا تركبي رأسك يا فيفي. أمام أبينا أيام معدودة ويفارق الحياة. أكّد لي جرّاح الأعصاب الذي يتولى علاجه أنّ الورم من النوع الخبيث، لقد استأصله ولكنه سيتجدّد باستمرار وسيتآكل المخ بسرعة، ولا علاج لحالته..." سكتت برهة، وكنت أستمع إلى شهقاتها المسموعة وتنفسّها اللاهث. ثم أضافت: "أنت متخاصمة معه منذ سنوات، ألم يحنُّ بعد الوقت للتخلّي عن عنادك وطيّ صفحة الماضي المشين؟"[3]ويعني هذا تواصل راشا مع أخته وتُلّح عليها لزيارة أبيها باعتبارها واجب عليها فراشا بدورها تقوم بالتذكير الدائم لأختها فيفي وأنّ يرقَ قلبها لكل ما حدث وفتح صفحة جديدة، مما يعكس في الرواية لحظة عاطفية فيها محاولة من راشا لإصلاح العلاقة وإنهاء كل الخصومات والجفاء الذي يُحالفها.

---

[1]– الرّواية، ص30.

[2]– الرّواية، ص31.

[3]. الرواية، ص98.

فـي مقطـع آخـر: تقـول راشـا مبتسـمة ومبتّهجـة "بابـا... بابـا... شـوف شـكون جـاء... فريدة...؟"[1] في هذا المقطع يتجلّى مشاعر صادقة معبّرة عن حبها الشديد لأبيها فالروائي استخدم اللهجة العامية لإبراز عفوية وبراءة راشا وارتباكها العاطفي.

شخصيّة جيروم: هو شخصيّة فرنسية الأصل، زميل فريدة في مقاعد الدراسة يظهر في الروايـة كشخصـيّة ثانويـة لكنهـا مركزيـة فـي حيـاة فريـدة لهـا تأثيرهـا العـاطفي والاجتمـاعي، إلاّ أنّ شخصيته تلعب دورًا فعالا في تطوّر الأحداث وتسهم بدورها في تقديم تحدّيات الهوية الثقافية والتأزّم العاطفي لدى الشخصيات وبالأخصّ فريدة، في بداية العلاقة كان جيروم شخصا قريبا لفريدة لكن مع تطوّر العلاقة كانت تناقضات بينهما من أجل الهويّة، لأن جيروم نشأ ثقافة فرنسية وعاش دخل بيئة أوروبيّة ممّا جعله يحمل خلفية ثقافية عكس التي تنتمي إليها فريدة.

لكن مـع مرور الوقت تشعر فريـدة فـي علاقاتهـا مـع جيروم علـى عدم قدرتها فـي التمّسك والحفاظ على تراثها الثقافي لأنّ في نظرتها عندما ستتزوج جيروم سوف تتغيّر حياتها بالكامل، لكن القدر غيّر مجرى حياتها وأخذ جيروم للقاء ربّه " بعد قليل، وكنت واقفة مع زميلة لي في القسم حتى ظهر ثانية وحيّاني بحيوية وقدّم نفسه:"جيروم سنة ثالثة، تسمحي برقصة أخرى"لم أمانع، قادني إلى الحلبة، وقال:اسمك فيفي، أليس كذلك؟ كلود هي التي أخبرتني، وهي جارتي... ثمّ جرّني في رقصة خضّت جسدي، وكادت تدوخني... "لست متعوّدة على الرقص" ردّ جيروم مزهّوا: "ستتعوّدين... سأعلّمك الرقص لتصبحي ملكة الرقص... تعرّفت إلى حبي الأول، دون أنّ أكون أعرف."[2] ويعني هذا القول أنّ لقائها بجيروم كنقطة تحوّل من مأساة إلى فرح.

---

[1]–الرّواية، ص11.

[2]–الرّواية، ص54.

أمّا عن علاقته بفريدة كانت له بمثابة مصدر للأمل في حياته، لتنقلب به رأسا على عاقبه وتتغيّر الأحداث إلى وقوعه في حادث مرور: "ولكن لله والقدر شأن آخر، مغاير تماما. أو صدف الحياة المليئة بالأسرار والألغاز؟ لا أعرف فتى في ريعان الشباب مثلما تقول أبجديات اللغة تسحب منه الحياة بغتة، صحيح أنّه لم يمتّ، ولكنه بالنسبة إليّ مات وانتهى"[1].

شخصية فتحية: اسمها يدلّ على الفتح والأمل وبداية الخير، فشخصيتها في الرواية من أصل تونسي مغتربة في فرنسا، فاسمها يوحي بالفتح لكنها مغلقة في الواقع بسبب الغربة، أيّ أنّ شخصية تحمل الأمل من حيث الاسم، لكنها سجينة الحزن من حيث الواقع، حيث جاءت في الرواية: "اسمي فتحية، فرنسية من أصل تونسي، أعرف وضعية الفتاة المهاجرة ليس سهلا وهي تصارع ضد قهر الأب والأخ، تبحث عنّ حريّتها تريد الاندماج في المجتمع الفرنسي، وليس هذا المسار بالهيّن، الدليل ما أراه أمامي."[2]

وتلعب فتحية دور الشخصيّة المنّقذة للبطلة وهي صورة رمزية لامرأة أنّ تكسر صمت الغربة وتمنح لمواطناتها العربية الدفيء والاحتواء وسط مجتمع غريب وقاسي إذْ تصبح فتّحيّة بمثابة نور وسط الظلمة ويدعون ومساعدة في زمن الانغلاق، وهذه الشخصية تحمل بعد إنساني على الرغم من أوجاعها الخاصة إلاّ أنها تفتح نافذة أمل للمهاجرين مثلها لأنّها ساعدت الكثير من المهاجرات بغضّ النظر على فريدة ويظهر هذا جليّ في مدح فريدة وامتنانها لفتّحية من خلال إنقاذها من دانيال الذي أصرّ على تبني ابنها في قولها: "فتّحية الفحلة، الطيّبة، السخيّة، أنقذتني فعلا من هيمنة وإصرار الزوج المثلي الذي كاد يقضي عليّا وعلى مستقبل ابني، يا حسرتي على حماقتي حينما استحضر

---

[1]–الرواية، ص 158.

[2]–الرّواية، ص 222.

تفاصيل تلك الشهور البائسة، ثم أعود فأقول إنّها كانت نعمة عليّ، فلولاها ما ولدّت في تلك العيادة الفاخرة، وما عرفت فتحية مُنّقذتي التي أرسلتها السماء لي خصيصا"[1]ويعني هذا أنّ شخصية فتحية امرأة قوية صاحبة موقف وهذا ما عبرّت عليه فريدة الذي يحمل شحنة وجدانية عاطفية، فتّحية صاحبة قلب حنون لا تحمل الحقد والضغينة في قلبها ولا تتردّد في مساعدة الآخرين وخير دليل على ذلك مساعدتها لفريدة في المستشفى بل وأنفذتها من وحدة الغربة والانكسار النفسي مما وّلدت حبا واهتماما ووقتا في زمن قلّت فيه المشاعر.

تجسّد الشخصيات المهاجرة في الرواية مرآة تعكس وجوها مختلفة لخذلان وفقدان الأمل الإنساني، وتبرز الروايّة مأساة جيل يتأرجح بين بلد خائب ومهجر غريب، وهي شخصيات معطوبة الهويّة تحمل في ذاكرتها جِراح وطنها وفي حاضريها متاعب وأوجاع الاغتراب.

2. النّسق الزّمني للهجرة في الرّواية:

الزمن هو الوقت الذي يمرّ في الماضي وتاريخه الحاضر ونتائجه المستقبل فهو يعتبر محور الحياة وهو بمثابة الصديق الذي يتذكره كل فترة "الحزن، السعادة، الفكاهة" ويمثل الزمن همزة وصل بين الماضي والحاضر، ويعتبر كذلك مكونا سرديًا باعتباره محور القص، فمهما تعددّت مكونات النص السردي يضل عنصر الزمن ذا أهمية بالغة تتجاوز أهمية المكونات الأخرى، ومن جهة أخرى يمثل عنصرا أو محركًا فعّالا كونه عنصر أساسي يساهم في تكميل بقية المكونات الحكائية ويمنحها طابع الصدق والمصداقية ويساعد في بناء السرد وتطّور الأحداث.

الزمن عند سعيد يقطين في كتابه تحليل الروائي:" كانت حصيلة تصوّر مقولة الزمن تجد اختزالها العلمي والمباشر مجسّداً بجلاء في تحليل اللغة، وبالأخص في أقسام الفعل الزمنية التي

[1]–الرواية، ص228.

تطرأ إليها من خلال تطابقهما مع تقسيم الزمن الفيزيائي إلى ثلاثة أبعاد:" الماضي، الحاضر، المستقبل"[1].

وتعّرفه أيضا مها القصراوي في كتابها الزمن في الرواية العربية على أنّه "روح الوجود الحِقة ونسيجها الداخلي فهو مائل فينا بحركته اللامرئية حتى يكون ماضيا أو حاضرًا أو مستقبلاً، فهذه الأزمنة يعيشها الانسان وتشكّل وجوده بالإضافة إلى أنّ الزمن الخارجي أزلي لا نهائي نعمل عمله في الكون والمخلوقات يمارس فعله من على من حوله"[2].

ومنه فالزمن في العمل الروائي مهم للغاية، كونه يعطي للرواية شكلها، وعليه تتبنى عناصر السببية وتعاقب الأحداث، ولا ينفصل الزمن من باقي العناصر الروائية الأخرى.

ولهذا قام الروائي "محمد ساري" بتوظيف زمنا متشظيا يعكس حالة التمزّق النفسي والتاريخي التي يعيشها المجتمع الجزائري في فترة الاستعمار، لهذا الروائي اختار عنوانا مطابقا لما عاشته الجزائر في العشرية السوداء وهذا ما يدّل على أن هذه الفترة كانت تعبّر عن حقبة يعيد ترتيبه بما يعكس المسار التاريخي الذي وعد بالتحرّر والانتفاض فإذا به ينقلب إلى زمن مأساوي ووخيم.

أولا: المفارقات الزمنية:

تعتبر المفارقة الزمنية من أهم الركائز التي تعمل على التلاعب الحرّ بالمنظومة السردية، ولهذا فإنّها هي اللحظة التي يلجأ إليها السّارد في سرده للحدث انطلاقا من اعتراضه للسير الحسن لسرد الأحداث، حيث يرى "جيرار جينيت" أنّ المفارقة الزمنية تعني دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما، من خلال مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع

---

[1]– سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي، دار البيضاء، ط3، 61.

[2]. مها حسن يوسف عوض الله، الزمن في الرواية العربية(1960–2000)أطروحة دكتورة الجامعة الأردنية، الأردن، ص80.

الاحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة وذلك لأن نظام القصة هذا يشير إليه الحكي صراحة أو يمكن الاستدلال عليه من هذه القرينة غير المباشرة"[1].

إذا فالمفارقة الزمنية هي نظام ترتيب الأحداث من حيث زمن القصة وزمن الخطاب والتي يوّلدها الراوي في السرد، عن طريق انحرافه باتجاه الماضي أو المستقبل، أو ما يسّمى بالاسترجاع والاستباق، ولهذا يحدث الاسترجاع تارة والاستباق تارة أخرى.

فالروائي في عنوانه يمّهد للقراء ويحلّق بهم منذ البداية إلى أن الزمن في الرواية لن يكون تطوريا أو تصاعديا لأن الرواية لا تسير وفق خط زمني واحد وإنما هناك تنّقل بين الماضي والحاضر المعاش.

أ.الاسترجاع:

هو تقنية سردية يستخدم لإيقاف تسلسل الأحداث الزمني الطبيعي في النّص، من أجل العودة على حدث سابق أو لحظة ماضية، لهذا عرفه "نضال الشمالي" على " أنّه مخالفة صريحة لسير السرد، يكون بعودة راوي السرد ومحّركه إلى حدث سابق، بهدف إلى استعادة أحداث ماضية أهمل السرد ذِكرها لسبب أو لأخر"[2]

وتعّرفه سيزا قاسم في كتابها " هو ترك مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية ويرويها في لحظة لاحقة في حدوثها"[3]. بمعنى أنّ الاسترجاع هو ترك الرّوائي بعضا من القص ليعود إلى صياغة بعض الأحداث الماضية، أيّ أن عودة الروائي إلى الماضي ما هو إلاّ

---

[1]–ينظر: جيرار جينت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ت: محمد معتصم وعبد الجليل الآزدي، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، بيروت، لبنان، 1997، ص48.

[2]–نضال الشمالي، بحث في مستويات الخطاب في الرّواية التاريخية العربية، عالم الكتب الحديث، إربيد، الأردن، 2006م، ص157.

[3]–سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة ثلاثية نجيب محفوظ) مهرجان القراءة والجميع، مكتبة الأسرة، دط، 2016، ص58.

استذكار لبعض الأحداث وهذا ما تجسّد في رواية كعبة الشمال والزمن الخائب حيث قامت البطلة أو ما تسمى ب "فريدة" تنفتح ذاكرتها بوابة الماضي المؤلم، فعاد في ذهنها مشهد طردها من البيت، ذاك اليوم الذي لم تنساه ويبقى راسخا في ذاكرتها حتى الموت في قولها:" ... هكذا غادرت نهائيا الدار التي آوتني في طفولتي وجزء من شبابي، لقد استرجعت ذاكرتي تفاصيل ذلك اليوم وضاعفت من بؤسي وكآبتي"[1].

وفي عبارة أخرى تسترجع فريدة ذاكرتها عن تجارب التي ولّدت فيها جانب الحقد والكراهية اتجاه والدها بعضها يثير الفرح والسرور، والآخر يشعل في قلبها نار الغضب وهذا يتّضح في قولها "تختلج ذاكرتي بأقوال ومشاهد محتّدمة عن أبي، ترافقني منذ صغري، تفرحني تارة وتحزنني تارات أخرى، وكم ارغب في الإفصاح عنها لأحدٍ أتوق إلى أن يسمعني بعناية حكم حكيم، يتفهّم أسباب تمرّدي وكيفية تراكم الضغائن الدفينة التي ترسّبت شيئا فشيئا إلى حدّ طغيان ألوانها القائمة عليّ، ولا يتسّرع إلى تذنيبي فيُلقي اللوم كلّه عليّ أنا وحدي، باعتباري البنت العاق التي خرجت عن طوع أبيها، وأساءت إليه بأفعالها المشينة"[2]. لهذا تتحوّل ذكريات فريدة من مجرّد صور إلى مصدر لفهم الذات وتوظّف الاسترجاع النفسي حيث تتداخل مشاعرها مع ذكرياتها دون ترتيب زمني، فتمرّدها على أبيها وسلطته يرجع إلى كتمان مشاعرها وتهميش وجودها ممّا يضفي هذا الأخير كردّ فعل نفسي لتعويض هذا الفراغ الروحي الوجداني لتّعبر عنها بمشاعر جيّاشة ملتهبة وصادقة.

في موضع آخر: "أول مشهد أستذكره عندما أقف على شرفة طفولتي الأولى هو صورة تلك الطفلة الصغيرة المزّهوة بفستانها الجديد والمزّينة بضفيرتيها المتدليتين على كتفيّها النحيلتين، وهي تقف مرتابة، شاردة الذهن تمسك يدّ أبيها وهما يتقدمان بحذر وهيبة باتّجاه سيّاج المدرسة، الساحة

---

[1]–الرواية، ص 15.16.

[2]–الرّواية، ص21.

خاصة بالأطفال وأوليائهم وأنا الطفلة الصغير التي تبتعد للمرّة الأولى من قوقعتها الحاضنة لأجول ببصري المنذهل حول الفضاء الجديد. فضائي الذي سأعيش فيه أحلى سنوات طفولتي، تلتقط أُذناي أصواتا ونداءات، ولكنني لا أفهم معناها"[1]. لهذا تكتشف الروايّة عن بعد زمني مزدوج الماضي، الذي يحمل دلالة عميقة تظل على ذكريات فريدة التي تُصاحِبُها منذ صغرها مع أبيها وربما التحسّر على ما فات وبين الزمن التاريخي الذي عاشته في تلك الحِقْبة الذي يرمز للخيبة والاضطرابات الاجتماعية والنفسية وشرفة الطفولة عبارة دالة على البراءة والآمال أي نافذة زمنية تُطِل منها على الماضي في نفس الوقت تحمل دلالة الحنين والشوق.

في مقطع آخر نجد: "هكذا مرّت الأيام والأسابيع، بل والشهور، فدخلت ذكرى آيشة في النسّيان ولم نعد نتذكّرها إلاّ لماماً وبتحسر مرير، تنتَابُنا شفقة حزينة على مصيرها الذي وبكل صدق تصوّرته أسوأ من مصير أمي، ولكن الأيام عارضت تصوّراتنا وأظهرت لنا أنّنا فعلا لم نكن نعرف طبع آيشة وإصرارها الهادئ العنيد على تغيّر حياتها وعدم التخلي عن مشاريعها"[2]،هذا القول يحمل دلالة زمنية عن تسارع الأحداث بطريقة حزينة وقاسية خاصة في ما يتعلق بشخصية التي حاضرة بقوة في ذاكرة السارد إلاّ أنها مع الوقت ومرور الزمن أصبحت من الماضي كأنّها شخصية مضمرة غارقة في نهر النسيان وأصبحت من الماضي المنسي . فالواقع ابتلع كل الذكريات شيئا فشيئا يطغى الزمن على الذكريات ويتّحول المصائر إلى قصص حزينة ومؤلمة بحيث أصبحت شخصية آيشة مجرد صورة عابرة في الذهن.

---

[1]–الرواية، ص 43.

[2]–الرّواية، ص144.

ب.الاستباق:

هو "الطرف الآخر من تقنيتي المفارقة السردية وهو يعني تقديم الأحداث اللّاحقة والمتحققة في امتداد بنية السرد الروائي، على العكس من التوقع الذي قد يتحقق وقد لا يتحقق لاحقا"[1].

وينّظر على أنه: "مفارقة تتجه نحو المستقبل بالنسبة إلى اللحظة الراهنة تفارق الحاضر إلى المستقبل إلماح إلى واقعة أو أكثر ستحدث بعد اللحظة الراهنة أو اللحظة التي يحدث فيها توقف القصّ الزمني ليفسح مكانا للاستباق"[2]. يعني هذا أنّ الروائي يكشف عن شيء لم يحدث بعد، ممّا يخلق تضاد بين ما تعيشه الشخصيات الآن وما ينتظرها مستقبلا لأنّ غالبا ما يأتي الاستباق على شكل لمحة أو جملة قصيرة توحي بأنّ شيئا سيحدث دون الولوج إلى تفاصيله لهذا يتوقف الروائي للحظة ثم يستأنف من جديد.

ويظهر الاستباق في الروايّة من خلال اتصال راشا بأختها فريدة وتخبرّها بحقيقة مرض والدها حيث تكون الخيبات بين أفراد الأسرة في دوامة من الألم الدائم الذي لا ينتهي إلى الشفاء والخلاص من المرض: " عاودت راشا الاتصال بي ملحة على واجب زيارتي له...وفاضت في طبيعة الورم الذي أصابه وفقا لما صرّح لها الطبيب المعالج: "لا تركبي رأسك يا فيفي، أمام أبينا أيام معدودة ويفارق الحياة، أكدّ لي جرّاح الاعصاب الذي يتولى علاجه أن الورم من النوع الخبيث... ولا علاج لحالته..."[3]ومعنى هذا أنّ المرض الخبيث حقيقة مؤلمة يحمل رمز المعاناة

---

[1]–آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 2015م، ص 119.

[2]–جيرالد برانس، المصطلح السردي،تر: عابد خزندار ومحمد بربري، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، ب ت، ص186.

[3]–الرواية، ص 8.

والألم النفسي الذي يتعرّض له أفراد العائلة في ظل وجود حالة أبيهم الخطيرة وفيها يتجلّى فكرة الزمن الخائب الذي يصعب فيه التحسّن والشفاء.

في مقطع آخر نجد:" في السنة الخامسة وقبيل الصيف، اقترحت المدرسة على الأولياء تسجيل أطفالهم لقضاء أسبوع عطلة على شاطئ البحر في بيربي أتذكر الاسم جيدا، في مخيم صيفي خاص بالأطفال، فرفض أبي تسجيلي متذرعا بأننا سنزور الجزائر في تلك صائفة"[1]في هذا الموضع يكشف المؤلف مبكرا أن حلم العودة الى الجزائر لن يتحقق ويبقى مجرد سراب مما يضفي إحساس بعبثية الزمن والمكان في حياة المغتربين، ويرسخ فكرة الزمن الخائب استباق في أعوام بلا جدوى وخذلان مما يرسم صورة نبوءة مبكرة الذي تضل مصير فاشل ومؤجلا حتى النهاية.

في هذا المقطع تتساءل الأم عن مصير الطفل إذا غابت الأم في المستقبل في قولها "وتهاطلت عليّ أسئلة أخرى: ما مكاني أنا بينهما؟ هل سأترك لهما ابني وانسحب من حياتهما وحياة يانيسي؟ هل سيعيش يانيسي بلا أم توضعه وتحن عليه؟ وهل سيصبح هو أيضا مثليا مثلهم؟ هل سيبقى ذكرا أم ينتحل صفة الأنثى...فأكيد أن هروبي بابني سيكون سهلا حينها، أي نعم، سأنتظر والليلة سأخطط سيناريو التخلص منها"[2] ومعنى هذا أن في لحظة ما انصبت على الأم أسئلة مؤلمة ومربكة، بعد أن وجدت نفسها بين رجلين وأمام ابنها يا نيس الذي صار وجوده مهدد بسبب هذا الاضطراب في العلاقات الأسرية بحيث تفقد السيطرة والشعور بالخذلان أمام مصير ابنها، باعتبارها الام الحقيقية التي تعطي لابنها الغذاء الروحي قبل الجسدي وخوفها على هوية ابنها وهل ستنتقل إليها الهوية بحكم المخالصة والمعاشرة، مما ولد فيها صراع بين الرحيل والبقاء.

3.الصراع بين الهويّة والاندماج:

---

[1]–الرّواية، ص50. 51.

[2]–الرّواية، ص 221.

تعتبر الهويّة في المجتمع الركيزة الأساسية التي تعبر عن الوجود وهي بمثابة القاعدة الرئيسية لبنائه، لهذا جاء محمد عمّارة بتعريفه للهوية بقوله " إن الهوية كالبصمة بالنسبة للإنسان، يتميز بها عن غيرها، وتحدد فعاليتها ويتجلى كلما أزيلت من فوقها طوارئ والحذف، دون أن تخلي مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات"[1] ومعنى هذا أن الهويّة كعنصر أساسي في تحديد شخصية الإنسان، وتظل جوهرية حتى وإن تعرّضت لمحاولات طمسها مثلما أن بصمة الإصبع لا تتغير وتبقى تميز صاحبها.

لهذا عرفت الرواية الجزائرية المعاصرة انفتاحا على موضوعات الهجرة و الهويّة، في ظل التّحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي دفعت بأعداد كبيرة من المهاجرينإلى الشّمال بحثا عن واقع أفضل أو حياة هادئة، من بين الأعمال التي قاربت هذه الظاهرة بجرأة و عمق كبير رواية كعبة الشمال و الزمن الخائب لمحمد ساري، حتى تطرّقت إلى موضوع الهويّة و مصير المهاجر في مجتمع غريب عنه بالإضافة إلى أنّه يسلط الضوء على معاناة المهاجر الجزائري في المجتمع الغربي، حيث تتجاذبه ثنائية الحفاظ على الذات و متطلّبات الاندماج لهذا برز الصراع في عدةّ مظاهر سردية منها: الحنين الى الوطن في استرجاع فريدة ذكريات طفولتها و عاداتها لتبرز محاولة التشبث و الانغماس في هويتها و يظهر ذلك في الرواية: "...ربما بهذا رقّ قلبي لها، ذلك أن أغلب الفتيات فرنسيات شقراوات، و شعرهنّ سلس يتدلى على أكتافهنّ بخلاف شعر المسجون في الظفيرتين و شعر صديقتي الجديدة المشعّث و الذي تجمعه على شكل ذيل حصان عصي الترويض، كانت تسريحة شعرنا تؤكد على هويتنا المختلفة، هوية المهاجرين العرب، و لكننا كنّا أطفالا أبرياء لا نعي جيّدا غرابة هذه الوضعية الهجينة، وفي العموم لم يكن بقيّة التلاميذ الفرنسيّن

[1]–محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1999، ص 6.

يعاملوننا بما يجعلنا نحسّ بغربتنا و بهويتنا المختلفة"[1] يعني هذا أن فريدة لا تشعر بأنّها تنتمي تماما لأي من العالمين، سواء في موطنها الأم أو الموطن الذي تقيم فيه، فهي أرادت صنع هويّة خاصة بها لوحدها، فهي على قناعة تامة بأنها لا تريد الانخراط في البيئة الفرنسية التي تعيش فيها فهي أرادت الاختلاف عنهم حتى في أبسط الأمور مثل هيئتها واقتناء هندام شكلها.

بالإضافة إلى هذا أنها وجدت نفسها متحرّرة من عوائق العائلة لتدخل في صراعات التعايش في قولها " ولكن الزمن الخائب واندفاع فتوة الشباب، والأوهام المزهرة التي كانت ترتسم أمامي وتهتف لي بأن فرنسا هي أبي وأمي حاضري ومستقبلي، ويكفيني الغوص في دروب أضوائها المغربة، كي أتطهّر من سجن عائلتي وقومي... فأروح أوسع في حجم الكوة، وأعظم من نورها حتى تختفي الزنزانة ولا أرى نفسي إلا أنا حرة طليقة، أسبح في ضباب دافئ منعش، ولم تترك لي إلاّ بابا واحدا أدقة وأدفع مصراعه يوما بعد يوم، وهو ينفتح تارة وينغلق أخرى"[2]يعني أنّها كانت تعيش في صراع عائلي تعاني منه لتحاول بناء نفسها ولكن وجدت نفسها داخل صراع آخر بعدم تأقلمها مع ذلك المجتمع فشعرت بغربة أكبر.

كما تظهر في الرّواية هوية الأب كرمز للتمسّك بالهوية الأصلية وطغيان السلطة التقليدية المتمثلة في العادات والتقاليد والثقافة، بوصفة المهاجر إلى فرنسا وهو مشبّع بثقافته الأصلية، متشبثا بعاداته ومؤمنا بأنّ الهجرة مجرد إقامة مؤقتة، لهذا يحمل في داخله قناعة بأن الغربة لا يمكن أن تكون وطنا بديلا، ويتجلى ذلك في قوله:" لهذا جئتُ بكم للعيش هنا، فرنسا أرض الدنيا كلها، فيها الشغل والسكن والمدرسة..."[3] نجد أيضا"...لكن الأيام والسنوات أردمت أوهامه، لأن العربيّ ليس

---

[1]–الرواية، ص 49.

[2]–الرواية، ص 59.

[3]–الرّواية، ص 30.

مظهرا ولباسا ولغة وإنّما سلوك وقناعات، وأبي عربي الى النخاع ويرفض التخلي عن قناعا له المتأصلة فيه وإن بطريقة عفوية لا شعورية"[1] بمعنى أن الأب متجذّر من رحم الهوية الجزائرية ولا يمكن التخلي عن أصله رغم اندماجه في مجتمع جديد، مما يدفعه إلى تقديس مبادئه وسلوكياته، فظل الأب متمسكا بجوهره الثقافي والتاريخي المتأصل مما نخلص إلى الصراع الداخلي الذي يعيشه الأب بين مجتمع جديد يحاول دمجه وبين الهوية الأصلية الراسخة فيه لا يمكن اقتلاعها، يبرز أيضا تمزق بين الجيل القديم المتمسك بالأصل وجيل الأبناء الذي يعيش في عالم متغيّر.

في مقطع آخر تجسّد الأم هي الأخرى اندماجها النسبي التي تميل إليه حرصا وخوفا على مستقبل الأبناء في المجتمع الفرنسي، ويظهر في الروايّة الحوار الذي يبرز الصراع الداخلي بين الهويّة والاندماج ويتضّح ذلك في: "... وأمي تجيب بصوتها الحنون، تعبّر عن رأيها دون إظهار الغضب المبطّن إذ تدرك أنّ رفع صوتها ضدّ زوجها سيكلّفها ثمنا غاليا، أنسيتَ أنّنا نعيش في فرنسا؟ لسنا في البلد كي تمنعها من الخروج ليّلا... فرنسا بلد آمن، ولا يعتدي عليها أحد، على الأولاد أنّ يعيشوا كما الفرنسيين..."يُجيبها صارخا: "لسنا فرنسيين، ولا نعيش مثلهم... هم كفاّر ونحن عرب ومسلمون..." ثم وبعد صمتٍ قصير: "أظنّ أنني أخطأت حينما جئت بكم إلى فرنسا... كان عليّ أنّ أترككم هناك مثلما يفعل أغلبية المهاجرين... أظنّ أنّه من الأحسن أنّ أرجعكم إلى البلد، فتحت لك ولبناتك العين جيّدًا وهذا الأمر لا يبشر بالخير أبدًا..."[2].

واجهت فريدة العديد من الصعوبات في تأقلّمها وتكييفها في مجتمع مختلف في العادات والتقاليد كما كانت تعاني من التهميش الاجتماعي والتمييّز حيث عانت من عقدة نفسية، باعتبارها

---

[1]–الرّواية، ص 31.

[2]–الرّواية، ص: 124– 125.

مهاجرة من شمال إفريقيا غير مندمجة في المجتمع الفرنسي، فلم يتحسّن وضع فريدة إلاّ بعد أن مُنِحتْ الهوية الفرنسية ممّا غيّر مسار حياتها ويتّضح ذلك: "استعلمت الأمر وعرفت أنّه بإمكاني الحصول على الهوية الفرنسية بحكم طول إقامتي وسنوات دراستي الحق يُقال إنّ مصالح الإدارة المكلّفة بتسوية أوضاع المهاجرين تساهلت معي بمّجرد أنّ شرحت وضعيتي وقدّمت لهم شهادات مراحل دراستي الابتدائية والمتوسطة والثانوية، ومنحوني بطاقة الهوية الفرنسية في ظرف شهور معدودة الأمر الذي حسّن وضعيتي المهنية وتمكنّت من إيجاد شغل بائعة في متجر المساحات الكبرى "ماموت" مع ضمان لجميع حقوقي كعاملة"[1]. ومعنى ذلك أن منّحها للهوية فتح أمامها الباب لتغيير حياتها بالكامل، وتحسين وضعها المهني وتمّكنت من إيجاد عمل في متجر كبير وبذلك تبقى الهوية المزّدوجة والانتماء الممزّق حاضرًا في حياتها بين رغبتها في الاستقرار ومقاومة الانصهار التام في المجتمع الغربي.

تظهر شخصية فيفي أن الاندماج الكامل هو السبيل للحصول على حقوق المواطنة حيث تعبّر عن صراع داخلي بين التمسّك بالهوية الثقافية الأصلية والتكيّف مع المجتمع الجديد وتظهر جهدها المبذول في محاولة تربية ابنها يانيس ويتجلّى هذا في قولها: "حاولت المستحيل كي أربي ابني يانيس وفق التقاليد وأعراف المجتمع الفرنسي، إذ أنّ قناعتي الأولى هي أنّ المهاجر عن الغير كحالنا، عليه أن يتشبع بقيمة ويندمج كليا كي يصبح مواطنا يستحق المواطنة التي مُنِحت له، ومع ذلك حالت ظروفي مضطربة وغيابي اليومي بسبب العمل المتواصل طوال أيام الأسبوع وأحيانا حتى أيام السبت دوت تحقيق مرادي."[2] هذه العبارة تسلّط الضوء على الصعوبات والعراقيل التي يقف أمامها المهاجرين في التوفيق بين هويتهم الثقافية ومتطلبات المجتمع الجديد ممّا يظهر الصراع

---

[1]. الرّواية، ص: 174-175.

[2]- الرّواية، ص287.

الداخلي للشخصية بين ضرورة تبني المهاجر لقيم المجتمع الفرنسي والاندماج فيه خاصة ابنها يانيس في رغبتها في اندماجه مع عادات وقيم المجتمع الفرنسي.

وفي موضع آخر يعكس صراع الهوية لدى المهاجر بين ثقافة الأصل وثقافة المهجر: "أصارحك أختي فريدة... أنا تحرّرت من كل هذه العادات البالية، أنا أعيش في فرنسا، ومع الفرنسيين، ممرضين، وأطباء، وأتعامل معهم باستمرار، ونلتقي مثلما رأيت مرارًا في نهايات الأسبوع والأشهر معا، لذلك فأنا تخلّيت منذ شبابي الأول عن هذه التقاليد البالية وأنا بتشوش، يكثّر خير الرئيس بورقيبة- أطال الله في عمره . الذي أعطى الحرّية للمرأة وسَنّ قوانين لتتمكن من ممارسة حرّيتها في أمن و اطمئنان"[1]في هذا الخطاب توجّه فتحية للأخت فريدة كمحاولة، لتفسير موقفها وربما لتبرير نمط حياتها الجديدة، بحيث تتفرّع الشخصية بين الإخلاص لهوّيتها وبين محاولة الاندماج الكامل في مجتمع مغاير، وأنّ أسلوب الحياة الأوروبية يتسّم بالحرية المطلّقة كأنها تحاول أنّ تقول لفريدة أنّها كل ما تراه غريبا أصبح لديها أمرًا عاديا .

كما نجد بداية مرحلة جديدة في حياة فتّحية وانتقالها من بيئة وثقافة بلدها تونس إلى فضاء مغاير أي فرنسا: "... ومنذ وطئت قدمايّ أرض فرنسا، والتحاقي بمدرسة تكوين شبه الطبي، هنا في مدينة ليون، قررّت أنّ أكون فرنسية الثقافة، أعيش كما يعيشها أهلها تماما، كما قررّت عدم العودة إلى تونس إلاّ في عطل قصيرة المدى لا تتجاوز الأسبوع الواحد"[2]، انطلاقا من القول الذي بين أيدينا تدلّ كلمة القدم على السير والحركة وبداية تجربة جديدة أيّ تحوّل وتغيير مسار الحياة،

[1]- الرّواية، ص258.

[2]- الرّواية، ص260.

وبهذا أصبحت متشبعة ومتأثرة بثقافة وحضارة فرنسا وحاولت أنّ تتخذ ثقافتها هوية لها من حيث القيّم والتفكير والعادات والتقاليد والاندماج في مجتمع جديد.

وفي موضع آخر يظهر الأب في نوبة من الغضب مما يعكس فقدانه للسيّطرة على مشاعره، واستخدامه الصراخ وسيلة للترهيب والسيطرة في قوله: "وراح يصرخ في هيجان هستيري وعيناه تتطايران شرار: "كبرت ودرت القرون يا واحد الكلبة... أنا هنا ربّ البيت، ويحق لي أنّ أتصرف مثلما يحلولي...وأنت بالذات أسكتي ولا أريد سماع صوتك... في المرّة المقبلة، لن أكتفي بصفعة فقط."[1] هذه العبارة تحمل رمزية ودلالات عميقة حول السلّطة الأبوية المطلّقة والقمع الاجتماعي الممارس ضد المرأة وكذلك صورة سلبية للأب الذي يستخدم سلطته لتقليل قيمة ابنته، وفي هذا السياق تبقى السلطة الأبوية طاغية ومطلقة.

لا تزال شخصية فيفي تحت قيود المستّمرة والمتزايدة التي يفرّ منها الأب مما يجعلها في دائرة مغلقة تحت وطأة التقاليد والضغوط الاجتماعية ويظهر في الرواية:" في واقع الحال، كنت تلميذة متوّسطة، بالكاد أتحصّل على المعدّل الذي يسمح لي بالانتقال إلى الأقسام العليا، ثم إنّ ما زاد مني ضجري هو تدهور العلاقات مع زميلاتي، أو لنقل عجزي عن الانسجام مع طبعهنّ وطريقة حياتهنّ وبالأخصّ حريتهنّ المطلقة، فيما كنت أسيرة موانع أب متلاحقة."[2] ومعنى هذا أنّ الشخصية في توتر دائم بين الرّغبة في التحرّر والواقع القاسي الذي تفرضه التقاليد مما تكتم الفرد خاصة المرأة التي تعيش تحت سلطة أبيها والتي تمنعها من التطلّع والتّحليق نحو آفاق وحياة أفضل.

---

[1]–الرّواية، ص258.

[2]–الرّواية، ص260.

من خلال تحليلنا وتفصيلنا في الرّواية استنتجنا هناك صراع عميقا بين الهويّة الأصليّة ومحاولة الاندماج والانغماس في مجتمع متحّول ومهجر، إذ لا يمكن لأحد من الشخصيات اقتلاع جذورهم ولا نجاح في الذوبان في بيئات غريبة عنهم، وتبقى البطالة وجلّ الشخصيات معلّقة وأسيرة ومترددّة بين الوفاء للهويّة والاندماج في مجتمع جديد.

4.صورة المرأة في شخصية فيفي:

أثارت صورة المرأة في المجتمع العربي جدلاً واسعًا ومحط نقاش عند الكثير من الكتّاب والروائيين في الأعمال الروائية النسوية، حيث تتراوح بين التقاليد الراسخة والتحدّيات المعاصرة وغالبا ما تكون المرأة محكومة بصورة نمطية سواء من حيث الوصف أو الوظيفة التي تؤديها في المجتمع، هذه الصورة تبرز من خلال التمايز بين الجنسيين المستنبط من المخزون الاجتماعي والثقافي، حيث يبقى الرجل في الريادة وله مكانة مرموقة في المجتمع تسمح له بالسيطرة على المرأة الضعيفة في العقل والدين.

تعتبر "فيفي" رمزًا للمرأة العربية التي تعيش بين ثقافتين متناقضتين، وتجسّد شخصية فيفي للمرأة الجزائرية التي تتمتع بوظيفة كبيرة في بناء المجتمع، وأيضا امرأة فريدة بصمودها ووقوفها أمام الرجل رغم كل الصعوبات والمشاكل، حيث يعتبر جوهر الرّواية ورمز للأم والحبيبة والمرأة المناضلة والمكافحة في الوقت نفسه ومقابل هذا مهمّشة ومقهورة من معاناة والآلام التي تحملها على عاتقها. وتعدّ رمزا للكفاح والجهاد وهي بمثابة مركّز وجوهر الحياة وهي نصف المجتمع وكقطرة غيث على الأرض قاحلة لما هي عجوز في عقلها وطفلة في روحها، فالمرأة المتمثّلة في شخصية فيفي بطلة في جميع الميادين، ألاّ تستحق الاحترام والتقدير حيث أوصى ديننا الحنيف وأوصى عليها نبيّنا الحبيب عليه أزكى الصلاة والسلام.

ركّزت الرّواية بعدّة صوّر للمرأة وأحسن مثال للمرأة، هي شخصية فيفي القويّة المكافحة والمجاهدة في ظلّ الصراعات والعراقيل التي تواجهها من طرف أبيهاخاصّة، والمجتمع عامّة، وفي هذا الصدّد هي جوهر وأساس المجتمع، كون المرأة لا يمكن أن تخلو من أي عمل أدبي، فاستطاعوا الأدباء أنّ يرسموا صورتها كل على حسب طبيعته، أي أصبح تركيزهم عليها للتّعبير عن أفكارهم ورغباتهم، وهي نموذجًا فنيًّا غامرًا وحافلا بالعديد من الدلالات، وتنوّعت صورهّا في الرّواية العربيّة كمثال وأيقونة لا يمكن الاستغناء عنّها، وهذا ما نجده في رواية كعبة الشمال والزمن الخائب لمحمد ساري المتمحورة حول شخصية فيفي، التي أخذت عدّة صوّر كأم وحبيبة ومجاهدة ومضطهدة والمرأة متحرّرة من قيود المجتمع والعادات والقيم.

فالروائي يعمل على ترك بصمته من خلال الرّواية، فهي المقام الأول التي تكون مستوحاة من أرض الواقع، حيث أصبحت المرأة الجزائريّة موضوعًا مهمًا في أعمالهم بالحديث عن العادات والتقاليد وطبيعة البيئة التي تعيش فيها ومحيطها المحافظ والرّواية قد كانت وسيلة للكشف عن قضايا المرأة ومشكلاتها وتصوير الواقع ولهذا أصبحت فيفي مسلوبة ومستسلّمة للواقع الذي تعيشه فأصبحت مجرّدة من حقوقها وحريّتهاوإذا حاولنا رصد الصورة السلبية والايجابية في الرواية فإنّ أول صورة نلمحها هي:

أ. **صورة المرأة المستضعفة:**

تجسّد المرأة في شخصية فيفي كضحية للظروف الاجتماعية والثقافية، وتعدّ من أبرز الصوّر السلبية المذمومة لتلك المرأة المقهورة، التي اضطّرت بأنّ تعيش واقعها الأليم وتعاني من القمع الاجتماعي، وصورة فيفي دلالة المرأة العربيّة المستضعفة حيث تواجه تحدّيات كبيرة في بيئة هجرتها وهذا ما سردته في قولها: "قضيت ليلة آرقة وأنا أجتهد لمغالية ضغائني والتراجع عن

قسمي بأنّ لا أزوره حتى وهو تحت التراب، طفت على السطح تفاصيل حياتي الموّجعة بضوضائها الحادّة كلسعات أفاع سامة غرفتي الصغيرة."[1] وبالتالي تظهر فيفي في حالة من التوتر النفسي والتوتر ولا تستطيع النوم في تفكيرها المستمر وتعكس كذلك محاولاتها في التغلب على مشاعرها الداخلية وهي في صراع داخلي محتدم داخل شخصية فيفي بين العاطفة والقرار وهذا ما يبرز نوعا من التحدّيات النفسية التي تواجهها في مجتمعها ومحيطها الثقافي والاجتماعي.

وفي مقطع آخر تظهر فيفي مجددا في التفكير في الانتحار، ممّا يبرز حالتها النفسيّة الضعيفة المضطربة وترى من زاوية أخرى أنّ الانتحار كحلّ نهائي والوحيد لتخلّص من معاناتها في قولها: "فأصبت حجم غضبي على الحياة اللعينة التي دحرتني أنا المظلومة الضعيفة، فيما أنعمت عليك أنت الظالم القويّ، فينقلب قلبي وتجرفني رغبة الانتحار من جديد"[2].

وفي موضع آخر في قولها كذلك:" حينما أختلي بنفسي ليلا، في لحظات صفاء، حيث ينتابني الأرق والضجر، ومعهما إحساس بأنّ ما أعيشه ليس إلاّ حلما جميلا سينقضي بعد حين، حلم سيء منذر بأبشع العواقب وسأستيقظ بعد قليل لإدراك فجأة أنّ ما أعيشه ليس إلاّ وهماً، لعبة تهريج سيئة الذوق"[3]. ومعنى هذا أنّ فريدة مثقلة لعبء النفسي وغارقة في بحر من الأفكار والأحاسيس المنتابة مما يشعرها باليأس والضعف. وفجأة تأتي لحظة وعي أنّ الحياة التي نعيشها ليس حلمًا أو نابعة من لبّ الخيال وإنّما واقع يجب التعايش والتراوح معه في ظلّ الصراع بين الداخل والواقع.

---

[1]–الرواية، ص10.

[2]– الرّواية، ص90.

[3]–الرّواية، ص154.

وقد أشارت أيضا في ضمن أحداث الرّواية عن عجزها في العيش في قولها: "انتابني انقباض ورهاب أرجف جسدي وللمرّة الأولى أرى نفسي عاجزة عن المقاومة، وأنّ ماسا عيشه بعد شهور قليلة قد يجرف بي ويغرقني في متاهة لا قاع لها، كيف لي أنّ أضمن سبل العيش الكريم وأنا بصحبة طفل غير شرعي في نظر أهلي وجميع العرب الذي أعرفهم و لا أعرفهم."[1] تشير فريدة في هذا المقطع عن لحظات صعبة تمرّ بها، وسيطرة الخوف والتوّتر العميق ممّا يضفي انهيار داخلي تعيشه فريدة من آن إلى آخر ممّا يحدث في نفس فريدة كيفية تأمين حياة كريمة وتحمل عبء مسؤولية، خاصة أنّها أحستّ بالعار وفقدت الأمان نتيجة ليس ابن غير شرعي خارج إطار الزواج وهذا ليس من تقاليدنا وعاداتنا وموقف غير مقبولاً في مجتمعنا، ممّا تستفسر عن كيفية النجاة بكرامتها وشرفها وسط هذا الحمل الثقيل.

ب.المرأة المضطهدة:

المرأة في هذا السياق كانت ولا تزال مضطهدة في كل الحضارات القديمّة والحديثة في الشرق أو في الغرب، وبالأخص في الوطن العربي،حيث تحرّم من ممارسة حقوقها وتجبر على التكيّف مع معايير اجتماعية قاسية وتحتل المرأة أدنى مرتبة من الرجل خاصة في مجتمعاتنا. حيث تشكّل وضعًا يُبرز على أنّها مقيّدة ومضطهدة من طرف المجتمع و أيضا الأسرة بدعم العادات والتقاليد وّهذا ما يصادفنا في الرواية مع شخصية فيفي المضطهدة ومهمّشة من طرف أبيها في علاقة يسودها الحقد والقسوة وظلم وكبّت للحرّية في ممارسة حقوقها، إنّ الفكرة الأساسية التي انطلقت منها الروائية من خلال ما سردّته تتجسّد لنا في قولها: "قام المتغطرس أبي بطردي من البيت من

[1]–الرواية، ص203.

ومنعني من دخوله ثانية، مهدّدا إيايّ بذبح"[1] وهذا المقطع يعكس صورة مؤلمة لفريدة والمرأة المضطهدة داخل الأسرة بصفة عامة، حيث تتجلّى سلطة الأب والاستبداد والحرمان وعدم تقديره لمشاعرها والتمتّع بحقوقها فتبقى المرأة مهمشة تحت تأثير التقاليد والمفاهيم المجتمعية.

ج. صورة المرأة الأم:

تعتبر المرأة الركيزة واللّبنة التي تبني الأسرة، فالأم هي التي تربي وتنصح وتهتم بأبنائها والأم بمثابة المعلّم في المدرسة باعتبارها المنبع الذي لا يتوقف حبًا وحنانا، وقد جاء ت شخصّية فيفي في الرّواية الأم الحنونة التي تخاف على ولدها ومصيره ورسم لنا الكاتب الأم الإيجابية والمضحيّة حتى تربي ابنها وتجد أنّها حملت مسؤولية لوحدها وعانت مثلما عان الوطن.

ومشهد تذكّره يكشف لنا صراعاً بين الأمومة الفطرية والمجتمع الذي يحاول استلاب هذا الحق: "أنا لا أقبل أنّ أتخلى عن طفلي مهما تكن الظروف قاسية عليّ، سأتّدبر أمري، ثم وبعد صمتٍ، أضفت كما لو أني ألهمت من السماء بشعلة ربانية سأتصل بعائلة أبيه، وهي التي ستتكفل بتربيته"[2] وفي هذا المقطع نجد أنّ فيفي تمثل صورة المرأة والأم المثالية التي تقلق وتهتم لحال ابنها، فهي الأم الحاضنة لكنها في الوقت نفسه الأم المجروحة، ما يجعلها تمثل الأم الحاضنة للوطن المقهور بحيث أنّ دانيال يمثل نموذج الإنسان الذي يبحث عن نوع من السيطرة على الآخرين بحجة العطف وهذا ما حاول إقناعها وإغرائها لأخذ الطفل وتكفّل به لأنه رأى الطفل أنّه يعيش في بيئة هامشيّة التي تعمل في ظروف قاسيّة لكن فيفي رغم هشاشتها رفضت التخلي على ابنها لأنّه هو المصدر الوحيد الذي تبّقى لها.

---

[1]– الرواية، ص92.

[2]–الرواية، ص214.

وفي مقطع آخر في الروايّة يحمل كثافة عاطفية، ويُبرز صورة الأم العاشقة لابنها رغم البعد: "فهو ابني الوحيد قرّة عيني ويبقى ابني العزيز الذي تحقّق له جوارحيكلّما رأيت صورة من صوره وهو صغير، سواء تلك الصوّر الجماعية التي أخذت في نهاية السنة الدراسية مع زملائه ومعلّمه أو معلّمته، أو تلك الفردية أو الثنائية التي أخذناها معا في مناسبات عديدة، أو أتذكرته وغرقت في استحضار لقطات من حياتنا، فأروح أمني نفسي بعودته قريبا واستئناف حياتنا من جديد وقد يأتيني برفقة زوجة تنجب له طفلاً يتسلى به في شيخوختي"[1].

في هذا القول فيفي تشخّص صورة الأم المنفيّة نفسيا التي تقيم في زمن الانتظار متمسكة بما تبقى لها من صوّر وأحلام كوسيلة لمقاومة الفقد وحتى في غياب ابنها مازال ولا يزال يحتل مكانة خاصة في قلبها، وتستذكر وتحيي الحنين والحزن معا، وبقيّت صامدة ومنحت لنفسها جرعة أمل وأمن نفسي، باعتباره بمثابة دواء يحفظها من الانهيار في انتظار عودة ابنها.

[1]– الرواية، ص296.

1. سيميائيّة غلاف الرواية:

أ. عتبة العنوان:

يمثل العنوان العتبة الأولى للولوج إلى النّص ذات دلالة مكثّفة وعميقة فهو بمثابة مفتاح لفهم رمزية الشخصيات والأحداث، فالعنوان يمثّل جسر عبور المتلّقي وأداة لكشف أسرار النّص وفي هذا يقول جيرار جينيت: "يعدّ العنوان من أهمّ عناصر المناص(النّص الموازي)، لهذا فإنّ تعريفه يطرح بعض الأسئلة ويلّح علينا في التحليل، فجهاز العنوّنة كمّا عرّفه عصر النهضة أو قبل ذلك العصر الكلاسيكي كعنصر مهم، كونه مجموع معقّد أحيانا أو مربك وهذا التحقيد ليس لطوله، أو قصره، ولكن مردّه قدرتنا على تحليله وتأويله"[1] ومعنى هذا أنّ العنوان هو العنصر الأول الذي يواجه القارئ عند التفاعل مع النّص ويعرّف الناقد جيرار جينيت العنوان على أنّه ما يصنع به النّص من نفسه كتابًا ويفرض ذاته بهذه الصفة على قرّائه، مؤكدًا دوره كعنصر مميّز للنّص ومؤشر على مضمونه.

يعتبر العنوان عند عبد الفتّاح الجحمري: "المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه، وفق تمثّلات وسياقات نصيّة تؤكد طبيعة التعالقات التي تربط العنوان بنّصه والنّص بعنوانه"[2]، ومعنى هذا أنّ العنوان قادر على إنتاج معاني جديدة تتفرّع أمّا التنامي يعبر عن نمو هذه المعاني وتطوّرها داخل النّص وبالتالي علاقة تفاعلية ديناميكية بين العنوان والنّص، ويسهم العنوان كذلك في تشكيل النّص وتوجيهه، ويتطوّر من خلال تفاعله مع النّصوص والسياقات المحيطة به.

وفي تعريف آخر يقول محمد فكري جزار: "العنوان للكتاب كالاسم للشيء، به يعرف وبفضله يتداول، يشار إليه ويدن به عليه، يحمل وسم كتابة، وفي الوقت نفسه يسم العنوان بالإيجاز

---

[1]–عبد الحق بلعابد، عتبات (جيرار جينت من النّص إلى المناص) منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2008، ص65.

[2]–عبد الفتّاح الجحمري، عتبات النّص (البنية والدلالة) شركة الرابطة، الدار البيضاء، ط1، 1996، ص19.

يناسب البداية، علامة ليست من الكتاب جعلت له لكي تدلّ عليه"1، فالعنوان أداة جذب القارئ وبمثابة هوّية لأيّ عمل أدبي يعرف به ويميّزه عن غيره وقد يكون العنوان عبارة عن كلمة أو جملة تلّخص مضمون الكتاب أو تعكس فكرته الرئيسية.

من خلال ما ذكرناه سابقا، يعتبر العنوان من العناصر الأساسية التي تحدّد هوية العمل الأدبي ويمثّل بطاقة التعريف للعمل، حيث يقدّم للقارئ فكرة أولية عن موضوعه ومحتواه، وهو كذلك عبارة عن علامة لغوية تعلو النّص لتسمه وتحدّه فالعناوين هي الركائز الأساسية.

- **المستوى الدلالي:**

اختيار الكاتب عنوان "كعبة الشمال والزمن الخائب" يدلّ على مهارته وإبداعه في استخدام رمزية ودلالة مكثفة مليئة بالتفكير والتأمل، تثير وتجذب القارئ فهو يحمل في طيّاته مفارقة بين الأمل والخيبة والبحث عن الخلاص في وجهة تحمل وعودًا كاذبةً، كما يعكس العنوان رؤية اجتماعية سيّاسية ونقديّة، فهو يجذب القارئ ويجعله يتساءل عمّا إذا كان الشمال الذي يتحدّث عنه الكاتب هو بالفعل مكان للراحة والسكينة أم أنّه مكان يواجه فيه المعاناة والصعوبات.

يضع العنوان القارئ أمام موقف تساءل حول مصير الشخصيات وطبيعة الزّمن الذي تعيش فيه، وهذا الأخير يخلق نوعًا من التناقضات بين الأمل والواقع وبين القداسة والعاديّة، ممّا يجعله على استعداد في عمق رمزي في الرّواية.

"كعبة" في العنوان تمثّل مكانا مقدّسا أو هدفا نهائيا يسعى إليه النّاس، لكنه في الوقت نفسه يبدو وبعيد المنال وبالتالي تصبح رمزًا لأمل خادع يجذب النّاس نحو الشمال لكنّها تظلّ مجرد حلم زائف لا يتجسّد في الواقع.

---

[1]– محمد فكري الجزّار، العنوان سيموطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1998، ص15.

والزّمن يعكس مسار الشخصيات وتطوّرها ولكن عندما يتم وصفه بالخائب يشير إلى أنّه زمن لا يحمل فيه تحقيق الأحلام.

- **المستوى التركيبي:**

يتكوّن العنوان من تركيبيتين مرتبطتين بحرف العطف واو ويتصدّر العنوان من النظرة الأولى دلالتان متناقضتان ترمز عبارة "كعبة الشمال" إلى مكان مقدّس وملاذ واتجاه روحي في الشمال، مما يعكس رحلة البحث عن الذّات والانتماء واطلاق هذه التسميّة على الشمال يرمز إلى محاولة المهاجريين الجزائريين البحث عن ملاذ روحي ووجودي وهدف معنوي في بلاد المهجر، وفي هذا السيّاق مقابل هذا البحث في غالب الأحيان ما يصطدم بالواقع القاسي المرير، حيث أصبح رمزًا للمكان الذي يفترض أن يكون ملجأ لكن يتحوّل إلى مكان آخر مليء بالتحدّيات والصراعات و"الزمن الخائب" يشير إلى فشل التجربة وضياع الأحلام وإلى فترة الهجرة والانتقال من الجزائر إلى فرنسا، وهو زمن مليء بالآمال والتطلّعات لكن اصطحب كلمة "الخائب" تضفي على هذا الزمن طابعا من الخيبة والإحباط، ممّا يعكس التناقض بين التوقعات والواقع ومعاناة الشخصيّات في مواجهة تحدّيات الهويّة والانتماء في بيئة جديدة، وإرفاق الزمن بصفة الخائب يمنح الزمن كذلك هويّة سلبية تهيء المتلقي لمضمون الروائي المأساوي.

والعنوان ككل تجسيد رمزي، يجمع بين الخيبة والامل الخادع، ويعطي العنوان مفتاحا لفهم السمات الأساسية للرّواية حيث يساعد في التركيز على موضوعات مثل الهجرة والأمل الخادع، الزمن كقيد اجتماعي والمفارقة بين الطموح الشخصي والواقع، فهو في الرواية لا يوحي إلى سرد أحداث فردية بل دراسة لأزمة مجتمعية تعبر عن تجارب جماعية للشباب الجزائريين في محاولتهم للبحث عن حياة أفضل.

ب. عتبة الغلاف:

غلاف رواية "كعبة الشمال والزمن الخائب" للكاتب الجزائري محمد ساري يتميّز بتصميم فني رمزي جميل يعكس مضمون الرواية الذي يتناول معاناة الهجرة والهويّة والقيود الثقافية، فالغلاف لا يقتصر على كونه مجرّد تصميم جمالي بل هو نافذة بصريّة تعكس الصراع الداخلي والخارجي للشخصيات والرّوائي عندما دمج ألوانا دافئة وزخارف خطيّة، يخلق تأثيرا بصريًا ليوقع القارئ في حبال شباكه من خلال تزيين غلافه بأبهى وأجمل الصوّر والألوان فأوّل ما يلّفت القارئ من أول وهلة هو الغلاف وما يعتريه من ألوان زاهية فالغلاف :"أوّل ما يواجه القارئ قبل عملية القراءة والتلذّذ بالنّص لأنّ الغلاف هو الذي يحيط بالنّص الروائي ويغلّفه ويحميه ويوّضح بؤرة دلالية من خلال عنوان خارجي مركزي أو عبر عناوين فرعية تترجم من أطروحة الرّواية، أو مقصديّتهاأو قيمتها الدلالية العامة"[1]فالغلاف بمثابة اللحاف الذي يضّفي على الرواية دلالات معيّنة. وبالعودة إلى غلاف الرّواية فإنّنا نجدّ تصميمه يعبّر عن صورة مشابهة للواقع، حيث تظهر الواجهة الأمامية للغلاف وجه امرأة مشوّه غير واضحة المعالم وكأنّها صورة باهتة من ذاكرة منفية واختيار هذه الصورة يعبّر عن انسلاخ الذات من جذورها وذوبانها في فضاء غربي لا يمنحها سوى القلق الوجودي والنفّسي الذي تعيشه الشخصيّة، حيث يتوّسط هذه الصورة كتابة عربية متكسّرة بخط مائل عبارة عن خطوط عربيّة متداخلة مكتوبة بخط يدوّي أبيض وسط الغلاف، فيضيف بعدًا ثقافيًا ووجدانيًا يعزّز من فكرة الحنين إلى الأصل والتعلّق بالموروث وسط عالم يتبدد وقد بشير أيضا إلى التشويش الثقافي والتحدّيات التي تواجهها الشخصيات في الحفاظ على هويّتهم في بيئة جديدة، وأمّا فيما يخص عنوان الرّواية كُتِب بخطٍ عريض عربي واضح باللّون الأسود لذي يشير إلى الفخامة والهيبة، ممّا يمنحه ثقلة وسط الألوان الزاهية وقد تموضع اسم المؤلف أسفل الغلاف

[1]–جميل حمداوي، شعرية النّص الموازي، دار الأدب والبلاغة، ط1، 2014، ص15.

بنفس اللون الذي دوّن به عنوان الرواية مما أضفى بروزا مع العنوان في العمل الإبداعي وقد غلب على غلاف الرّواية اللوّن الأحمر الذي يرمز إلى الحياة أو الموت أو الحب. واستخدم اللون الأحمر في الغلاف بشكل بارز، ممّا قد يرمز إلى الألم والصراع والدماء المرتبطة بتاريخ الجزائر الاستعماري وكذلك إلى الاضطراب والحنين وهناك إشارة إلى معاناة ومصير مجهول، وفي الجهة العليا تدرجات وألوان متداخلة من الأزرق الفاتح والأخضر والبنفسجي ما يمنح الغلاف طابعًا تجريديا يوحي بالاختلاط الثقافي والحيرة النفسية التي تعيشها الشخصيات في الرّواية من شتات وصراع تعكس التمزّق النّفسي.

أمّا بالنسبة للواجهة الخلفية فنجد في تصميمها بروز اللّون الأزرق: "إنّه يشّجع على الإبداع لأنّ النّاس تربط هذا اللون بالمحيط والمساء والحريّة والسلام"[1] هذا اللّون الموجود في الغلاف الخلفي أزرق داكن قد يكون مقصود المحاكاة، الجوّ العام للرّواية الذي يتناول الاغتراب والبحث عن الخلاص، الذي ينسجم مع العنوان الذي يحمل دلالة على "الزمن الخائب" والتي قد توحي بالضياع والتيه ممّا يعكس انسجاما بين مضمون الرّواية وغلافها.

العنوان مكتوب بخط عربي أنيق وعريض باللّون الأبيض، ممّا يجعله بارزًا وسهل للقراءة بالإضافة إلى النّص الخلفي مكتوب بخط تقليدي بسيط بالحجم المتوّسط، ممّا يساعد القارئ على القراءة المريحة ويبدو أنّ الخط المستخدم أقرب لخط النسخ الشائع في كتب الأدب ككلّ.

فالغلاف يخلو من الصوّر أو الزخارف وهو اختيار رمزي قد يفسّر بأنّ الرواية لا تعتمد على البهرجة أو الجاذبية البصرية بل تراهن على قوة النّص والمضمون التي تطرح قضايا الهجرة والانكسار والصراعات الداخلية.

---

[1]-كلورد عبيد، الألوان، ردودها-تصنيفها-مصدرها-رمزّيتها-ودلالتها، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2013، ص24.

يحمل الغلاف بُعدًا رمزيا ويوّجه الكاتب عبره رسالة أوّلية إلى القارئ مفادها أنّ الرواية تحكي عن رحلة عبثية في عالم يفتقد الثبات حيث الزمن المكسور والوجهة الضائعة وهو يتماشى مع مضمون الرّواية التي تستعرض محنة الذات الجزائرية والعربية في زمن الاغتراب الاجتماعي والسيّاسي.

خاتمة:

بعد هذه الرحلة البحثية في رواية "كعبة الشمال والزمن الخائب" لمحمد ساري، يتّضح أنّ العمليقدم انعكاس صورة الهجرة وما تحمله من تحدّيات نفسية واجتماعية، ونأمل أن يكون هذا البحث قد أضاف مساهمة قيّمة في فهم صورة الهجرة وانعكاساتها في الرواية الجزائرية، وجاءت هذه الخاتمة كآخر محطة ننهي بها بحثنا،نلخص أهمّ النتائج المتمثّلة فيما يلي:

- يُعدُّ موضوع الهجرة مفهوما معقّدا ومتشّعبا.
- لا تقتصر الرّواية على سرد تجربة الانتقال الجغرافي، بل تتناول الصراع الداخلي للشخصّيات.
- يعكس الروائي من خلال أسلوبه السردي العميق التوّترات النفسيّة والاجتماعيّة التي يعاني منها المهاجرون، مؤكدًا أنّ الهجرة لا تعني الهروب من الماضي بل مواجهة تحدّيات جديدة تتطلّب مرونة وصمودًا.
- تقدّم الرّواية رؤية إنسانية صادقة لقضايا الهجرة والهوّية.
- تمكنّت الرّواية من إبراز الصراع الداخلي لشخصية "فيفي" التي تعاني من ضغوط مزدوجة بين تقاليد البلد الأصلي(الجزائر) والواقع الجديد(فرنسا).
- في الرّواية رؤية عميقة لمعاناة المهاجرين، خاصة النساء، وتظهر كيف أنّ الهجرة قد تكون بداية جديدة، لكنّها تحمل في طيّاتها تحدّيات وآلاما تستدعي مواجهة الهجرة.
- استطاع الكاتب أنّ يصوّر وينقل الواقع الجزائري الممّزق، ويكشف الخبايا التي عاشتها البطلة (فريدة) في فترة الاستعمار.

وفي الأخير يمكننا القول بأنّ الهجرة في الرّواية شهادة أدبية على تحدّيات الهوّيات الممزّقة في المنافي، وتبرز كيف أنّ الجميع حتى وإن بدا قاسيا قد يكون ضحيّة لظروفه، فالهجرة ليس انتقال مكاني بل هي رحلة نفسية وثقافية مليئة ومثّقلة بالخيبات.

تمت بحمد الله.

نبذة عن الروائي:

محمد ساري أستاذ جامعي، روائي وناقد ومترجم أدبي من الجزائر من مواليد 1958، نشر روايات عديدة منها "الورم"، "الغيث"، "القلاع المتآكلة"، "حرب القبور"، "نيران وادي عيزر". كما نشر منها كتبا نقديه منها: "البحث عن النقد الأدبي الجديد"، "محنة الكتابة"، "الأدب والمجتمع".

واشتغل في الترجمة الأدبية، فنشر أزيد من عشرين رواية مترجمة من الفرنسية إلى العربية، ومنها روايات محمد ديب وياسمينة خضرا وسانت إكسيبري، كما ألّف روايات وقصصها بالفرنسية أيضا.

"**المعلومات موثقة من طرف الروائي**"

ملخص الرواية:

تتناول الرّواية موضوع الهجرة من الجزائر إلى فرنسا، مسلّطة الضوء على معاناة أسرة جزائرية ترتحل من مرسيليا إلى ليون، بغية حياة أفضل وأكثر استقرارًا، بسبب التمزّق الاجتماعي والسيّاسي، وتبدأ الرواية بتفاؤل البحث عن حياة أكثر تقدّما لكن سرعان ما تتحكم أمام صعوبات الاندماج الاجتماعي والثقافي، فتجسّد الرواية الصراع الداخلي للشخصيات، خاصة المرأة العربية التي دفعت الثمن التي تجد نفسها محاصرة بين التقاليد التي هربت منها، والمجتمع الجديد الذي لا يقبلها بالكامل، ويظهر ذلك من خلال شخصّية فيفي التي تمثّل رمزًا لمعاناة المرأة العربية في شتات وتمزّق وانسلاخ، وتظهر كذلك التحدّيات التي تواجهها "فيفي" وهي امرأة جزائرية هاجرت مع أسرتها إلى فرنسا بحثا عن حياة كريمة، لكن تجدّ نفسها محاصرة بين ثقافتين ثقافة بلدها الأصلي التي تحمل معها تقاليد والتمسّك بالقيم التي ترعرعت فيه، وفي الوقت نفسه تجد أنّها مصطدمة بثقافة البلد المضيف الذي يعطي الحرّية المطلّقة، وهذا ناتج عن دائرة الصراع بين الرغبة في التحرّر وإصرار وتنبثق بالتقاليد التي وضعتها وأجبرتها على اتخاذ قرارات صعبة، وما نخلص إلية تبقى شخصية "فيفي" مرآة عاكسة للصراعات الداخلية والخارجية التي تواجهها المهاجرين خاصة النساء وبين القيم والتحدّيات التي تفرضها المجتمعات الجديدة.

المصادر:

1. محمد ساري، كعبة الشمال والزمن الخائب، دار العين للنشر، قصر النيل، القاهرة، الطبعة1، 2025م.

المراجع:

1. أ.د.أحمد عبد العزيز الأصفر اللّحام، الأضرار النفسية والاجتماعية للهجرة غير المشروعة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، دار جامعة نايف للنشر، الرّياض 1437هـ/ 2016م.
2. آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 2015م.
3. جميل حمداوي، شعرية النّص الموازي، دار الأدب والبلاغة، ط1، 2014.
4. د. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، دار النشر والتوزيع، بيروت، أيلول، سبتمبر 2006.
5. د، بخوش صبيحة، الهجرة غير الشرعية وتداعياتها على منطقة شمال إفريقيا (الجزائر أنموذجا) مركز الدراسات الإفريقية وحوض النيل، المجلّد1، العدد1، 2018.
6. زهرة بن يمينة، قداوي سومية، المهاجر في الرّواية العربية المعاصرة بين واقعية المشهد والبناء السّردي، جامعة عبد الحميد بن باديس الجزائر، 2024.
7. سعدي بزيان، دور الطبقة العاملة الجزائرية في المهجر، في ثورة نوفمبر 1945(التاريخ السيّاسي والنضال للعمّال الجزائريين في المهجر من نجم إفريقيا إلى الاستقلال)، دار الهومة، ط2، الجزائر، 2008.
8. سعيد يقطين، البنية الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، طبعة 01، 1997.

9. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي، دار البيضاء، ط3، ص61.

10. سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة ثلاثية نجيب محفوظ) مهرجان القراءة والجميع، مكتبة الأسرة، دط، 2016.

11. صبيحة عودة زعرب، عسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع عمان، الأردن،2006.

12. عبد الحق بلعابد، عتبات (جيرار جينت من النّص إلى المناص) منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2008.

13. عبد الفتّاح الجحميري، عتبات النّص (البنية والدلالة) شركة الرابطة، الدار البيضاء، ط1، 1996.

14. عثمان الحسن محمد نور، ياسر عوض الكريم مبارك، الهجرة غير الشرعية والجريمة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2008.

15. عثمان الحسن محمد نور، ياسر عوض الكريم مبارك، الهجرة غير مشروعة والجريمة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض،2008.

16. عثمان الحسن محمد نور، ياسر عوض كريم مبارك، الهجرة غير المشروعة والجريمة، جامعة نايف العربية العلوم الأمنية، الرّياض 2008.

17. فؤاد بدوي بطرس، الهوية وثقافة السلام، الطبعة الالكترونية، 2008.

18. كلورد عبيد، الألوان، ردودها–تصنيفها–مصدرها–رمزّيتها–ودلالتها، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2013.

19. محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1999.

20. محمد فكري الجزّار، العنوان سيموطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1998.

.

21. مريم نجمة، الاغتراب عن الوطن وتأثيراته الروحية والفكرية والاجتماعية على الفرد، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=54751

22. نضال الشمالي، بحث في مستويات الخطاب في الرّواية التاريخية العربية، عالم الكتب الحديث، إربيد، الأردن، 2006م.

23. ينظر: جيرار جينت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ت: محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، بيروت، لبنان، 1997.

الكتب المترجمة:

1. بول كولير، الهجرة كيف تؤثر في عالمنا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس2016.

2. جان نيدريفين بيترس، العولمة والثقافة (المزيج /الكوني) المركز القومي للترّجمة، ط1، 2015، العدد2242.

3. جيرالد برانس، المصطلح السردي، تر: عابد خزندار محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، مصر، 2003.

4. ستيفين كاستلز، مارك ميللر، عصر الهجرة، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة سنة 2013.

المجلات:

1. أحمد أبو زيد، الهجرة وأسطورة العودة، مقال طبع في مجلة عالم الفكر الذي يعالج مسألة الهجرة والهجرة العاكسة، المجلّد السابع عشر، العدد الثاني، يونيو، أغسطس، سبتمبر، 1986، الكويت.
2. حورية الحمليشي، خرائط الهجرة في الرواية العربية، مجلة محكمة، 9يناير 2012.
3. محمد الهادي قامي، إشكالية هجرة الأدمغة في العالم العربي، قراءة سوسيولوجية تحليلية حول الأسباب والتداعيات، مجلة المعارف، جامعة البويرة، العدد22، جوان2017.

الأطروحات:

1. بوساحة عزوز، اتجاهات الطلبة الجامعيين نمو ظاهرة الهجرة الخارجية، مذكرة تخرج شهادة الماجستير في علم اجتماع التنمية، قسم علم الاجتماع، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2007،2008.

2. د، أمحند برقوق، إشكالية الهجرة والأمن في غرب المتوسط، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السيّاسية والعلاقات الدّولية، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، جوان2008.
3. مها حسن يوسف عوض الله، الزمن في الرواية العربية(1960–2000)أطروحة دكتورة الجامعة الأردنية، الأردن.

.

الفهرس

مقدمة 7
الفصل الأول: التأصيل التاريخي للهجرة 11
1. الجذور التاريخية للهجرة 11
2. العوامل المؤدية للظاهرة الهجرة 16
3. الهجرة في الرواية العربية المعاصرة 21
4. تحديد مفاهيم متعلقة بمفهوم الهجرة 23
الفصل الثاني: تمظهرات صورة الهجرة في الرواية 30
1. الشخصيات المهاجرة في الرواية 30
2. النسق الزمني للهجرة في الرواية 40
3. الصراع بين الاندماج والهوية 47
4. صورة المرأة في شخصية فيفي 53
5. سميائية غلاف الرواية 60
خاتمة 66
الملحق 67
قائمة المصادر والمراجع 69
الفهرس 73